

الأكثر
مبيعاً بحسب
النيويورك
تايمز

ناووكي هيغاشيدا

لهذا السبب أقفز

المتوحد الذي حوّل الصمت إلى صوت

ترجمة:
أنطوان باسيل

مكتبة 1301

تقديم:
ديفيد ميتشل

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

ناووكي هيغاشيدا

مكتبة | 1301

لهذا السبب أقفز

المتوحد الذي حوّل الصمت إلى صوت

ترجمة:
أنطوان باسيل

تقديم:
ديفيد ميتشل



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

11 8 23

مكتبة
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل

ALL PRINTS DISTRIBUTORS & PUBLISHERS s.a.l.

الجناح، شارع زاهية سلمان

مبنى مجموعة تحسين الخياط

ص.ب.: ٨٣٧٥ - ١١ بيروت، لبنان

تلفون: +٩٦١ ١ ٨٣٠٦٠٨ فاكس: +٩٦١ ١ ٨٣٠٦٠٩

email: publishing@all-prints.com

tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠٢١

ISBN: 978-6144-58-541-2

Copyright in Japanese text © Naoki Higashida 2007

Copyright In English translation © KA Yoshida and David Mitchell 2013

Copyright In Introduction © David Mitchelle 2013

تدقيق لغوي: حسين إبراهيم

تصميم الغلاف: ريتا كلزي

الرسوم: Kai and Sunny ©

الإخراج الفني: فدوى قطيش

المحتويات

- مقدمة: ديفيد ميتشل ١٣
- تمهيد ٢٥
- السؤال الأول: كيف تكتب هذه الجمل؟ ٢٩
- السؤال الثاني: لماذا يتحدّث المتوحّدون بصوت عالٍ وبغرابة؟ ٣١
- السؤال الثالث: لماذا تطرح السؤال نفسه مرارًا وتكرارًا؟ ٣٣
- السؤال الرابع: لماذا تعيد ترداد السؤال على السائل؟ ٣٥
- السؤال الخامس: لماذا تفعل أمورًا لا يجدر بك فعلها وإن أنهيت
عنها مليون مرّة؟ ٣٧
- السؤال السادس: أوجد أن اللغة الصبانية أسهل للفهم؟ ٣٨
- السؤال السابع: لماذا تتحدّث بهذه الطريقة الغريبة؟ ٤١
- السؤال الثامن: لماذا تستغرقك الإجابة عن الأسئلة دهرًا؟ ٤٢
- السؤال التاسع: هل علينا الإصغاء إلى كل كلمة تقولها؟ ٤٣
- السؤال العاشر: لماذا لا تستطيع إجراء محادثة صحيحة؟ ٤٤
- لغز الكلمات الناقصة ٤٦

- السؤال الحادي عشر: لماذا لا تنظرون مباشرةً في العيون عندما تتحدّثون؟ ٤٧
- السؤال الثاني عشر: يبدو أنك تكره الإمساك بأيدي الناس ٤٩
- السؤال الثالث عشر: هل تفضّل أن تُترك وشأنك؟ ٥٠
- السؤال الرابع عشر: لماذا تتجاهلنا عندما نتحدّث إليك؟ ٥٣
- السؤال الخامس عشر: لماذا تعابير وجهك محدودة جدًّا؟ ٥٥
- السؤال السادس عشر: أصحیح أنك تكره أن يلمسك أحد؟ ٥٦
- السؤال السابع عشر: لماذا تلوّح مودّعًا وراحة يدك قبالة وجهك؟ ٥٧
- الانزلاق والانقلاب ٥٨
- السؤال الثامن عشر: ما الذي يجول في ذهنك عندما تكون في إحدى أزهي حالاتك؟ ٥٩
- السؤال التاسع عشر: كيف تبدو ذكرياتك الارتجاعية؟ ٦٠
- السؤال العشرون: لماذا تثير هذا القدر من الجلبة بسبب أخطاء طفيفة؟ ٦١
- السؤال الواحد والعشرون: لماذا لا تقوم على الفور بما يُطلب إليك؟ ٦٥
- السؤال الثاني والعشرون: هل تكره عندما نُجبرك على القيام بأمور معينة؟ ٦٧
- السؤال الثالث والعشرون: ما الأسوأ في كونك متوحّدًا؟ ٦٨
- السؤال الرابع والعشرون: هل ترغب في أن تكون «طبيعيًّا»؟ ٦٩
- الكائن الأرضي والرجل المتوحّد ٧٠

- ٧١ السؤال الخامس والعشرون: ما السبب الذي يدفعك إلى القفز؟
- ٧٣ السؤال السادس والعشرون: لماذا تخطّ أحرقًا في الهواء؟
- السؤال السابع والعشرون: لماذا يصمّ المتوحّدون آذانهم براحت أيديهم
- ٧٥ معظم الوقت؟ هل يفعلون ذلك لدى كثرة الضجيج؟
- السؤال الثامن والعشرون: لماذا تحرك ذراعيك وساقيك بهذه الطريقة
- ٧٦ الغريبة؟
- السؤال التاسع والعشرون: لماذا تفعل أمورًا لا يفعلها الآخرون؟
- ٧٧ هل تعمل أحاسيسك بطريقة مختلفة ما؟
- ٧٩ السؤال الثلاثون: لماذا أنت حسّاس أو غير حسّاس جدًّا للأم؟
- ٨١ السؤال الواحد والثلاثون: لماذا أنت نيّق جدًّا في شأن طعامك؟
- ٨٣ السؤال الثاني والثلاثون: عندما تنظر إلى شيء ما، ما الذي تراه أولًا؟
- ٨٥ السؤال الثالث والثلاثون: هل يصعب عليك اختيار الملابس الملائمة؟
- ٨٧ السؤال الرابع والثلاثون: هل لديك إدراك للزمن؟
- ٩١ السؤال الخامس والثلاثون: لماذا أمط نومك غير منتظمة هكذا؟
- ٩٢ سيف لا ينتهي
- ٩٣ السؤال السادس والثلاثون: لماذا تهوى الدوران؟
- السؤال السابع والثلاثون: لماذا ترفرف بأصابعك ويديك قبالة
- ٩٤ وجهك؟
- ٩٥ السؤال الثامن والثلاثون: لماذا تصفّ ألعابك من سيّارات ومكعبات؟
- ٩٦ السؤال التاسع والثلاثون: لماذا تحبّ أن تكون في المياه؟

- السؤال الأربعون: هل تحب الإعلانات التلفزيونية؟ ٩٨
- السؤال الواحد والأربعون: ما أنواع البرامج التلفزيونية التي تستمتع بها؟ ١٠٠
- قصة سمعتها في مكان ما ١٠٢
- السؤال الثاني والأربعون: لِمَ تحفظ جداول مواعيد القطارات والرزنامات؟ ١٠٤
- السؤال الثالث والأربعون: هل تنفر من القراءة ومن تفكيك الجمل الطويلة؟ ١٠٦
- السؤال الرابع والأربعون: ما رأيك في سباقات الركض؟ ١٠٧
- السؤال الخامس والأربعون: لماذا تستمتع إلى هذا الحد بالخروج للمشي؟ ١٠٨
- السؤال السادس والأربعون: هل تستمتع بوقت فراغك؟ ١٠٩
- السؤال السابع والأربعون: هل يمكنك أن تعطينا مثالاً عن شيء يستمتع به المتوحدون فعلاً؟ ١١٠
- تمثال بوذا العظيم ١١٢
- السؤال الثامن والأربعون: لماذا تهرب دومًا إلى مكان ما؟ ١١٣
- السؤال التاسع والأربعون: لماذا تهيم معظم الأحيان؟ ١١٤
- السؤال الخمسون: لماذا تشرّد من المنزل؟ ١١٦
- السؤال الواحد والخمسون: لماذا تكرر أفعالاً معينة المرّة تلو المرّة؟ ١١٨

السؤال الثاني والخمسون: لماذا لا تقوم بما عليك القيام به، حتى

عندما يُطلب إليك ذلك ملايين المرات؟ ١١٩

السؤال الثالث والخمسون: لماذا أنت مهووس بأمر معيّن؟ ١٢١

الغراب الأسود والحمامة البيضاء ١٢٣

السؤال الرابع والخمسون: لماذا تحتاج إلى الإيعاز والدفع؟ ١٢٥

السؤال الخامس والخمسون: لماذا تعجز عن البقاء ساكنًا؟ ١٢٧

السؤال السادس والخمسون: هل تحتاج إلى جداول زمنية بصرية؟ ١٢٨

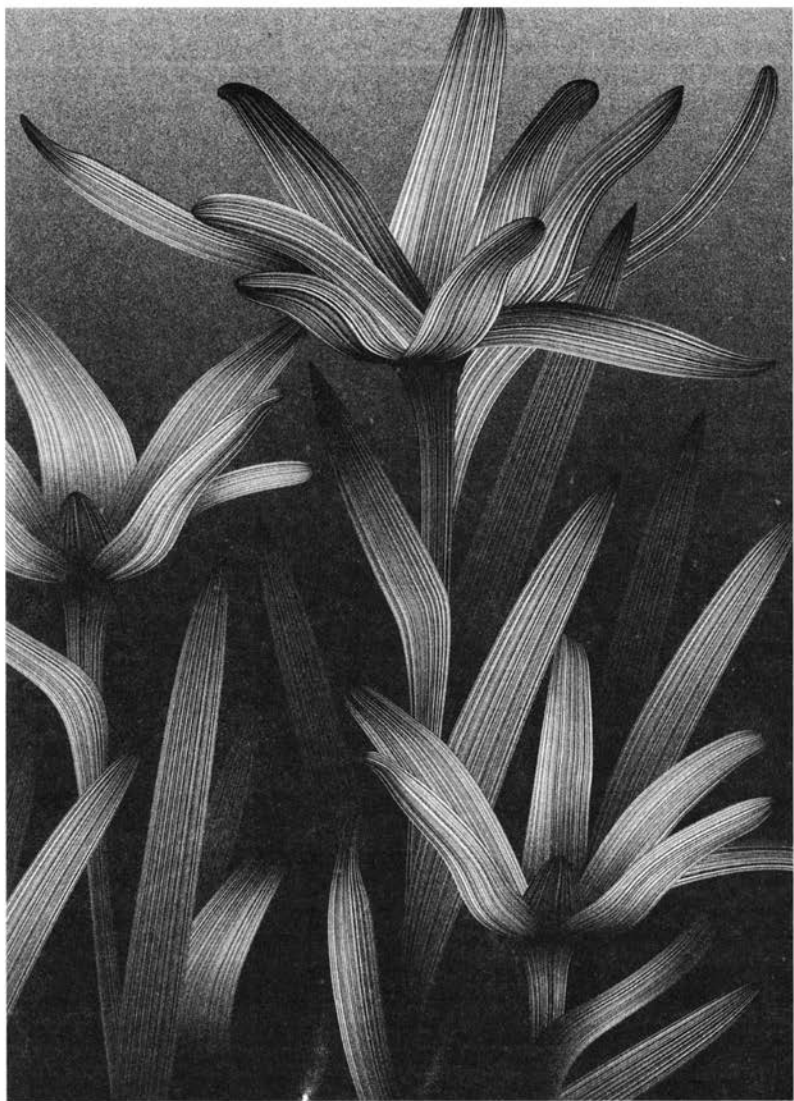
السؤال السابع والخمسون: ما سبب نوبات الذعر والانهيارات؟ ١٣٠

السؤال الثامن والخمسون: ما رأيك بالتوحد؟ ١٣٢

تقديم «أنا ههنا» ١٣٤

أنا ههنا ١٣٥

خاتمة ١٥٣



مكتبة

t.me/soramnqraa

مقدّمة

يدعو مؤلّف هذا الكتاب، ابن الثالثة عشرة، قراءه إلى تصوّر حياتهم اليومية وقد حُرّموا فيها من ملكة النطق؛ وأصبحت الدردشة الودّية مع صديق تشرح له فيها بأنك جائع، أو متعب، أو متألّم، فوق حدود قدراتك. وأودّ أن أدفع بهذه التجربة الفكرية إلى ما هو أبعد بعض الشيء. فما عليك إلا أن تتخيّل الآن، وقد فقدت قدرتك على التواصل، أن المحرّر المقيم في داخلك الذي يعمل على ترتيب أفكارك قد تخلّى عنك من دون سابق إنذار. ويُحتمل أنك لم تعرف أبدًا بوجود المحرّر الذهني هذا، لكنك، وقد رحل الآن أو رحلت، تدرك بعد فوات الأوان كيف أنه أتاح لذهنك أن يعمل كلّ تلك السنين. ويجتاحك سيّل عنيف دافق من الأفكار والذكريات والبواعث والخواطر. فقد سيطر المحرّر الخاص بك على هذا الدفع، محوّلًا الغالبية الكبرى منه بعيدًا، وموصيًا بجزء صغير جدًّا فقط تأخذه في اعتبارك الواعي. لكنك أمسيت الآن لوحداك.

وبات ذهنك الآن أشبه بغرفة فيها عشرون جهاز راديو تصدر منها أصوات وموسيقى صاخبة، وكلّ واحد يبثّ محطة مختلفة. ويفتقر كل واحد

من أجهزة الراديو هذه إلى مفاتيح للإيقاف أو للتحكم بمستوى الصوت، كما لا يوجد في الغرفة التي أنت فيها باب أو نافذة، فلا يأتيك الفرج إلا عندما تعجز عن البقاء مستيقظاً بفعل الإنهاك الشديد الذي يصيبك. ويزيد الطين بلة أن محرراً آخر غير مُدرِك حتى الآن، قد تخلى عنك هو الآخر من دون سابق إنذار - وهو محرر أحاسيسك. فتغرق كذلك فجأة في بحر من الأحاسيس، غير المصفاة نوعاً والغامرة كمًّا، الداخلة إليك من محيطك. وتجري الألوان والأنماط تضحّ للفت انتباهك. وتفوح رائحة ملطّف الأنسجة من كزتك بالقوة نفسها التي تخترق فيها رشة مباشرة من رائحة معطر الجو فتحتي أنفك. وسروالك «الجينز» المريح يصبح خشناً كالصوف الفولاذي. أحاسيسك المسؤولة عن التوازن والإدراك تعاني، فلا تنفك الأرض تميل من تحتك في ما يشبه عبارةً في بحر هائج، وتصبح غير متأكد من مكان وجود يديك ورجليك بالنسبة إلى باقي جسدك. ويمكنك الشعور بطبقات جمجمتك إضافة إلى عضلات وجهك وفكّك: تحسّ وكأن رأسك عالق داخل خوذة دراج أصغر من حجم رأسك بثلاثة مقاسات وهو ما قد يفسّر، أو لا يفسّر، سبب كون صوت مكيف الهواء يصمّ الأذان كالمثقاب الكهربائي، لكن يبدو وكأن والدك - الموجود أمامك مباشرة - يحدثك باللغة الصينية الكانتونية بطلاقة من هاتف خلوي في قطار يعبر الكثير من الأنفاق القصيرة. وشمسي عاجزاً عن فهم لغتك الأم، أو أي لغة: تصبح اللغات كلّها، من الآن وصاعداً، لغات أجنبية. بل ويزول حتى إحساسك بالوقت، فلا تستطيع التمييز بين الدقيقة والساعة، كما لو أنك مدفون داخل قصيدة لإيميلي ديكنسون حول الأبدية، أو أنك سجين فيلم خيال علمي متخطّ للزمن. غير أنّ للقوائد والأفلام نهاية، أما حالتك هذه فتشكّل واقِعك المستمرّ الجديد. فالتوحّد حالة تستمرّ مدى

الحياة. لكن حتى كلمة «التوحد» لا تعني لك الآن أكثر مما تعنيه كلمة
ऑटيزم أو αυτισμός أو 自闭症.

شكرًا لبقائكم حتى النهاية، ولو أن النهاية الحقيقية تنطوي، بالنسبة إلى
معظمنا، على الخضوع للتخدير والوضع الإجباري في مستشفى للأمراض
العقلية، ومن الأفضل عدم التكهن بما قد يحصل بعد ذلك. ومع ذلك فإن هذا
الواقع غير المنقح وغير المصقّى والمفزع كالجحيم بعينه يشكّل موطن الذين
وُلدوا في طيف التوحد. يُضطرّ المتوحدون إلى قضاء حياتهم كلّها في محاولة
تعلّم كيفية محاكاة الوظائف - «التنقيح» - التي تمنحنا إيها، نحن الآخرين،
موروثاتنا الجينية بوصفها أمرًا بديهيًا. وهذه مهمة ذهنية وعاطفية ذات
أبعاد هرقلية وسيزيفية وعملاقة، وإذا لم يُعتبر المتوحدون الذين يشعرون فيها
أبطالًا فلا أدري عندها ماهية البطولة، بغضّ النظر عن عدم امتلاك هؤلاء
الأبطال أي خيار آخر. وليست الإحساسية واقعيًا بديهيًا إلى هذا الحدّ، بل هي
كناية عن تركيبة ذاتيّة البناء، لبنة فوق لبنة، وتتطلب صيانة دائمة. وكما لو
أن ضخامة هذه المسألة لا تكفي، فعلى المتوحدين الكفاح للنجاة في العالم
الخارجي، حيث «ذو الحاجات الخاصة» هي العبارة المتداولة للدلالة على
«المتخلف»، وحيث يُنظر إلى الانهيارات ونوبات الذعر بوصفها نوبات غضب،
وحيث يُعتبر طالبو نفقات الإعاقة من منتهزي خدمات الرعاية، وحيث يمكن
لأحد الوزراء الفرنسيين وصف السياسة الخارجية البريطانية بأنها «متوحّدة».
(اعتذر السيد لالوش لاحقًا شارحًا أنه لم يتوقّع أبدًا بأن هذه الصفة قد تتسبّب
بالإهانة. وأنا لا أشك بذلك).

ليس التوحد بالمشوار السهل على أهل المتوحد أو على من يتولّون العناية

به، كما أن تربية ولدٍ يعاني من التوحّد ليس عملاً لضعفاء القلوب - والواقع ضعف القلب قدرٌ مشوّومٌ لدى أول شكّ تافه بأن هناك خطباً ما بشأن ابنك ذي السنة وأربعة أشهر. وفي «يوم التشخيص»، يصدر طبيب طفلك النفسي حكمه البديهي بسلاسة مصطنعة، وهو أن ابنك لا يزال ذلك الفتى الصغير الذي كانه قبل تأكيد ذلك الخبر الذي يعطي تعريفاً جديداً للحياة. ثم تدور في دوامة ردود فعل الآخرين: «إنه لأمر محزن جداً!؛ «ماذا؟ أصبح مثل داستن هوفمان في 'رجل المطر Rain Ma'؟»؛ «أمل أنك لن تتقبّل هذا التشخيص المزعوم من دون أي ردّ فعل!؛ أما ردّ الفعل الذي أفضله فهو، «نعم، بالطبع أبلغتُ طبيبي بأن يغرب عن وجهي». وستدقّ اتصالاتك الأولى بمعظم مؤسسات الدعم المسمارَ الأخير في نعش ضعف القلب ورهافته، وتزرع فيك طبقة من النسيج تشبه النُدب، وتزرع في داخلك طبقةً من التشاؤم أسمى من جلد وحيد القرن. هناك أشخاص موهوبون وواسعو الحيلة يعملون على دعم المتوحّدين، لكن السياسات الحكومية مُحِبطة لسطحيّتها ولعدم قدرتها على إدراك القدرات الكامنة للأولاد ذوي الحاجات الخاصة ومساعدتهم ليُسهموا على المدى الطويل في المجتمع. والخبر المشرق الضئيل هو أن النظرية الطبية لم تعد، كما كانت منذ وقت قريب، تلقي اللوم على زوجتك في التسبّب بالتوحّد لأنها «الأم الثلاجة»^(*) (لم يتوفّر تعبير «الآباء الثلاجة» للتعليق عليه) وبأنك تعيش في مجتمع يعتقد أنّ المتوحّدين سحرة أو شياطين، ويتم التعامل معهم على هذا الأساس.

فإلى أين اللجوء بعد ذلك؟ إلى الكتب. (لا بد أنك بدأت ذلك بالفعل

(*) الأم الباردة العواطف ولا تحمل أي مشاعر حيال جنينها الأمر الذي قد يتسبّب، بحسب النظرية الطبية القديمة، بولادة طفل متوحّد - المترجم.

لأنَّ ردَّ الفعل الأوَّل لأفراد العائلة والأصدقاء المستميتين للمساعدة تتمثَّل في إرسال القصاصات وعناوين المواقع على الإنترنت والأشياء المكتوبة، بغض النظر عن مدى علاقتها بوضعك). والمنشورات المتعلِّقة بذوي الحاجات الخاصة أشبه بالأدغال. فكم من الكتيبات الإرشادية حول «كيف تساعد طفلك المتوحِّد» يحتوي على لفٍّ ودوران، مع وجبات سخية من «الحقوق المحفوظة» و«الماركة المسجَّلة». وهي قد تحتوي على أفكار صالحة للاستخدام، لكن قراءتها قد تُشعرك بإحباط كما لو أن أحدًا يحاول أن يقنعك بالانضمام إلى حزب سياسي ما أو كنيسة. زد على ذلك أن الكتب الأكاديمية أكثر كثافة وتحتوي على المزيد من الإحالات المرجعية ومليئة بالمصطلحات التربوية والاختصارات. ومن الجيِّد بالطبع أن الأكاديميين يُجرون أبحاثًا في هذا الحقل، لكنَّ الفجوة بين النظرية وبين ما يتكشَّف على أرض الواقع هي في الغالب أكبر من إمكان ردمها.

وهناك صنف آخر يتمثَّل بالمدكرات الأُميل إلى كونها اعترافات، ويكتبها أحد الوالدين في الغالب، وتشرح وقع التوحِّد على العائلة والتأثير الإيجابي في بعض الأحيان لعلاج غير تقليدي. وهذا النوع من الكتب يستهوي وسائل الإعلام ويسلِّط الضوء على التوحِّد في سوق القضايا التي تستحقُّ الاهتمام، لكنني وجدت أن فائدة هذه الكتب على الصعيد العملي محدودة، ومن العدل القول إنها لا تُكتب في العادة لتكون مفيدة. يُظهر كلُّ مُتوحِّد شكل الحالة الخاص به، أو بها - فالتوحِّد أشبه بأنماط شبكية العين منه بالحصبة - وكلِّما كان العلاج غير تقليدي لطفل ما، تضاءلت إمكانية مساهمة العلاج نفسه في مساعدة آخر (كطفلي على سبيل المثال).

أما الصنف الرابع من أصناف الكتب المتعلِّقة بالتوحِّد فهو «السيرة

الذاتية لمرضى التوحد» يكتبها الملمون بشؤون طيف التوحد، والمثال الأشهر عليها هو كتاب «التفكير من خلال الصور» مؤلفته تامبل غراندين. وهذه الكتب تلقي من دون شك الضوء على المسألة، لكنها بحكم التعريف، تظهر كأنها تُكتَب بيد أشخاص بالغين باتت آراؤهم معروفة، وعجزوا عن مساعدتي حيث احتجتُ إلى القدر الأكبر من المساعدة: أن أفهم سبب قيام ابني ذي الأعوام الثلاثة بضرب رأسه بالأرض؛ أو بتحريك أصابعه بسرعة كبيرة أمام عينيه؛ أو معاناته من بشرة حساسة جدًا يعجز معها عن الجلوس أو التمدد؛ أو عويله حزنًا لأن أسطوانة القرص المدمج للرسوم المتحركة «بينغو» باتت مملأ بالخدوش فيعجز الجهاز عن قراءتها. وقد وفرت لي قراءتي الاطلاع على النظريات والزوايا والتخمينات في شأن تلك التحديات، لكن لا يمكنني ألا أن أقف عاجزًا أمامها، لأنني لا أزال أجهل أسبابها.

تسلّمت زوجتي في أحد الأيام كتابًا مميّزًا طلبته من اليابان بعنوان «لهذا السبب أقفز». وقد وُلد مؤلفه، ناووكي هيغاشيدا، في العام ١٩٩٢، وكان لا يزال تلميذًا في المرحلة المتوسطة عند نشر الكتاب. بلغ توحد ناووكي درجة من الحدّة جعلت قدرته على التواصل الشفهي عملية مستحيلة إلى حدّ كبير، وهي مستمرّة حتى اليوم. إلا أنه، بمثابرتة وبفضل أستاذة طموحة، تعلّم هجاء الكلمات مباشرة في شبكة الحروف الأبجدية الخاصة بالمتوحّدين. وشبكة الحروف الأبجدية اليابانية كناية عن جدول يتضمن حروف الهيراغانا اليابانية الأساسية الأربعين، فيما نظيرتها الإنكليزية هي نسخة عن لوحة مفاتيح بنسق QWERTY وقد طبعت على بطاقة مغلّفة بالبلاستيك. يتواصل ناووكي مع الآخرين من خلال التأشير إلى حروف هذه الشبكات لهجاء الكلمات الكاملة، فيقوم من بعدها المساعد الجالس إلى

جانبه بكتابتها. وتُرَكَّب من ثمَّ هذه الكلمات في جمل ومقاطع وكتب كاملة. وتتضمَّن «الإضافات» حول جوانب الشبكة الأرقام والتنقيط وعبارات «انتهى» و«نعم» و«لا». (رغم أن في وسع ناووكي الكتابة والتدوين مباشرة على الحاسوب عبر لوحة المفاتيح، إلا أنه يعتبر شبكة حروف الأبجدية ذات التقنية الأدنى بمثابة «متكأ أشدَّ ثباتًا» لأن فيها قَدْرًا أقل من الإلهاء وتساعده في التركيز). وسمحت له هذه الطريقة، حتى وهو في المدرسة الابتدائية، بالتواصل مع الآخرين وبتأليف الشعر وكتابة الروايات، إلا أن شرحه السبب الذي يدفع بالأولاد المتوحِّدين إلى القيام بما يقومون به هو الذي أعطى، حرفيًا، الإجابات التي كُنَّا ننتظرها. وكتاب «لهذا السبب أقفز» الذي وضعه كاتب لا تزال إحدى قدميه في مربع الطفولة، ويشكِّل توحِّده بالحدِّ الأدنى تحدِّيًا وتغييرًا جذريًا للحياة كما حال ابننا، كان رسالة إلهية رفعت الغشاوة عن أعيننا. شعرتُ للمرة الأولى وأنا أقرأه بأن ابننا يحدثنا، بكلمات ناووكي، عمَّا يدور في رأسه.

بيد أن الكتاب يذهب إلى ما هو أبعد كثيرًا من توفير المعلومات: فهو يقدِّم الدليل على أن داخل جسم الشخص الذي يبدو متوحِّدًا ومغلوبًا على أمره، ذهنيًا على القَدْر نفسه من فضول عقلك وبراعته وتعقيده، كما عقلي وعقل أيِّ كان. ومن السهل جدًّا إن كنت ترعى شخصًا متوحِّدًا أن تنسى، في خضمِّ كلِّ الجهد الذي تتطلَّبه منك تلك الرعاية، أنَّ هذا الشخص أكثر ذكاءً منك بكثير في الكثير من المجالات. ومع تحوُّل الأشهر إلى سنين يمكن أن يتحوَّل «النسيان» إلى «جحود»، فيؤدِّي غياب الإيمان هذا إلى جعل كلِّ من المُعتني والمُعتنى به عرضة للسلبيات. تتمثَّل موهبة ناووكي هيغاشيدا في إعادة إحياء الإيمان: من خلال إظهار الفطنة الذهنية والفضول الروحي؛ ومن خلال تحليل

بيئته ووضعه، ومن حسّ الفكاهة الماكر والدافع إلى كتابة القصص الخيالية. ونحن لا نتحدث عن إشارات أو تلميحات إلى هذه الاستعدادات الذهنية: فهي موجودة بالفعل في هذا الكتاب الذي (كما أمل) أنتم على وشك الشروع في قراءته.

وإذا كان ذلك لا يكفي، فإن «لهذا السبب أقفز» يعرّي عن غير قصد واحدًا من أكثر الأمور شؤمًا في الحكمة المتداولة في شأن التوحّد - وهي أن المتوحّدين أشخاص منعزلون ينفرون من الاختلاط بالآخرين ويفتقرون إلى التعاطف معهم. لكن ناووكي هيغاشيدا يرّد القول مرارًا وتكرارًا إنه، على عكس ذلك، يقدر كثيرًا صحبة أناس آخرين. غير أن التواصل يطفح بالمشكلات بحيث ينتهي الأمر بالشخص المتوحّد إلى البقاء منزويًا حيث يراه، أو يراها، الناس عندها ويفكّرون «إنها علامة كلاسيكية على التوحّد». ومن قبيل ذلك، لو أن المصابين بالتوحّد يغفلون عن مشاعر الناس الآخرين، فكيف أمكن ناووكي أن يشهد بأن أكثر ما يصعب تحمّله في التوحّد هو معرفة المتوحّد أنه يتسبّب بإرهاق الآخرين أو يصيبهم بالكآبة؟ كيف أمكنه أن يكتب رواية (بعنوان «أنا ههنا» وقد أُلحقت في نهاية الكتاب) تفاخر بشخصيات تُظهر طائفة من المشاعر، وقد صُمّمت حبكةها لاستدرار الدموع؟ ويستبق ناووكي، على غرار جميع الرواة، مشاعر القراء ويتلاعب بها. ذلك هو التعاطف. وتمثّل النتيجة في أن العوّز العاطفي والنفور من الصحبة ليسا من أعراض التوحّد بل من نتائجه، ومن نتائج التقييد القاسي للتعبير عن الذات وجهل المجتمع شبه التام لما يجري في داخل رؤوس المصابين بالتوحّد.

يشكل كل ما سبق، بالنسبة إليّ، معرفة تحويلية ومحسّنة للحياة. فعندما تعرف أن ابنك يريد أن يتحدّث معك، وعندما تعرف أنه يستوعب

محيطه بكل ذرة من الانتباه الذي تستوعب فيه ابنتك غير المتوحدة هذا المحيط، يمكن عندها أن يزداد صبرك ورغبتك وتفهمك وتواصلك عشرة أضعاف؛ وتصبح عشر مرات أكثر قدرة على المساعدة في مؤه. وليس من قبيل المبالغة القول إن «لهذا السبب أقفز» سمح لي بتدوير زاوية في علاقتنا مع ابنا. فقد أعطتني كتابة ناووكي هيغاشيدا الدفع الذي أحثاه للكف عن الإشفاق على نفسي والبدء في التفكير كم أن الحياة أصعب على ابني، وفي ما يمكنني فعله للتخفيف من صعوبتها. وروعة الحلقات المثمرة^(*) في أبوة ذوي الحاجات الخاصة توازي روعة الأبوة في كل الحالات: تزداد توقعاتك بالنسبة إلى طفلك؛ وتشتد قدرتك على اجتياز المطبات القاسية؛ ويشعر ولدك بهذا ويتجاوب معه. شرعت زوجتي في العمل على ترجمة إنكليزية غير رسمية لكتاب ناووكي ليتمكن الآخرون الذين يعتنون بابنا ومعلموه من قراءته، إضافة إلى بعض الأصدقاء في المنطقة التي نقيم فيها في إيرلندا ممن لديهم أولاد متوحدون. لكننا، وبعدما اكتشفنا من خلال مجموعات الإنترنت أن الأمهات اليابانيات المهاجرات ممن لديهن أولاد متوحدون محبطات جراء غياب الترجمة إلى الإنكليزية، شرعنا في التساؤل عن إمكان وجود عدد أكبر من القراء لناووكي هيغاشيدا. وجاءت بنتيجة ذلك الترجمة الإنكليزية لكتاب «لهذا السبب أقفز».

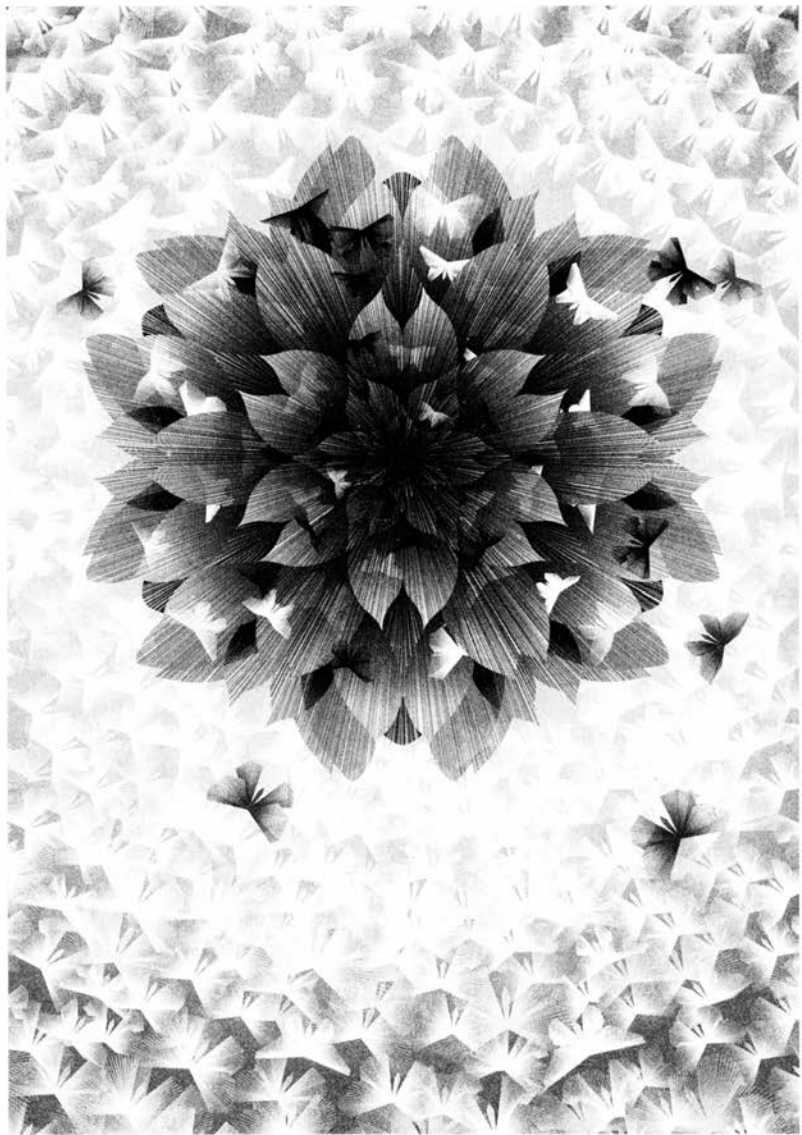
ليس المؤلف بمعلم روعي، وإذا كانت الإجابات عن بعض من الأسئلة قد تبدو شحيحة، فما عليك إلا أن تتذكر أنه كان في الثالثة عشرة وحسب عندما كتبها. ويبقى ما يريد قوله جديرًا بالاهتمام حتى عندما لا يتمكن من تقديم إجابة قصيرة ومباشرة - مثل إجابته عن سؤال «لماذا ترتب ألعابك بهذا القدر

(*) بعكس الحلقات المفرغة - المترجم.

من الهوس؟». يواصل ناووي هيغاشيدا الكتابة، ولديه مدونة شبه يومية، كما حاز شهرةً واسعة في دوائر مناصرة المتوحّدين، وتُنشر كتاباته بانتظام في مجلة «بيغ إيشو» *Big Issue* اليابانية. يقول ناووي إنه يطمح إلى أن يصبح كاتبًا، إلا أنه، كما يتّضح، قد أصبح واحدًا بالفعل - كاتب صادق، ومتواضع، وعميق التفكير، انتصر على صعوبات جمل، ونقّل المعرفة المباشرة من ذهن شديد التوحّد إلى العالم الأوسع؛ وهي عملية مضيئة بالنسبة إليه كأن تحمل الماء بين راحتيك عبر ساحة «تايمز سكوير» أو «بيكاديللي سيركس». تعني الأحرف الثلاثة في كلمة التوحّد باليابانية «الذات» و«إفقال» و«مرض». وقد حوّلت مخيلتي هذه الأحرف إلى زنزانة انفرادية مُقفلة على السجين الذي يقبع في داخلها منتظرًا. لقد كسر كتاب «لهذا السبب أففز» أحد الأحجار في جدار هذه الزنزانة.

ديفيد ميتشل

إيرلندا، ٢٠١٣



تمهيد

لم أعرف، حتى وأنا صغير، أنني فتى من ذوي الحاجات الخاصة. فكيف اكتشفتُ ذلك؟ اكتشفته عبر من قالوا لي إنني مختلف عن كل الآخرين، وتلك هي المشكلة. وهذا صحيح إلى حدّ كبير. فقد صعب عليّ كثيرًا التصرف كإنسان عادي، وأنا حتى اليوم لا أستطيع حتى «إجراء» محادثة حقيقية. لا أجد أي مشكلة في قراءة الكتب بصوت مرتفع وفي الغناء، لكن ما إن أحاول التحدّث مع شخص ما حتى تتبخر كلماتي. أستطيع في أي حال التفوّه ببضع كلمات - لكنّها تأتي معاكسة تمامًا لما أريد قوله! ولا أستطيع التجاوب كما يجب عندما يُطلب إليّ القيام بأمر ما، وكلّما توتّرت، هربتُ من أي شيء يصدف أنني أقوم به. وهكذا، يمكن لنشاط بسيط مثل التسوّق أن يشكّل تحدّيًا فعليًا إذا قممتُ به لوحدي.

لماذا إذًا لا أستطيع القيام بهذه الأمور؟ شرعتُ خلال أيام الإحباط والبؤس والعجز في تخيّل كيف ستكون الحال لو كان الجميع مصابًا بالتوحّد. ولو نُظر ببساطة إلى التوحّد على أنه نمط من أنماط الشخصية لأضحت الأمور أسهل لنا، ولكنّا أسعد ممّا نحن الآن. وهناك بالتأكيد أوقات سيئة نتسبّب

فيها بالكثير من الإزعاج للآخرين، غير أن ما نريده حقًا هو القدرة على رؤية مستقبل أكثر إشراقًا.

تعلمتُ، بفضل التدريب الذي تلقَّيته على يد السيدة سوزوكي في مدرسة هاغوكومي، وبفضل أمي، طريقة التواصل من خلال الكتابة. بل أصبح في إمكاني الآن الكتابة باستخدام حاسوبي. لكن المشكلة تكمن في أن الكثيرين من الأولاد المتوحّدين لا يمتلكون وسائل التعبير عن أنفسهم، وليس لأهاليهم في الغالب أي فكرة عمّا يدور في خلدكم. ويحدوني بالتالي أمل كبير في تقديم بعض المساعدة وذلك بأن أشرح، على طريقتي، ما يدور في خلد المتوحّدين. وآمل أيضًا، من خلال قراءتكم هذا الكتاب، أنكم ستبنون صداقة أمتن مع المتوحّد.

لا يمكنكم الحكم على الشخص من خلال المظهر. لكن ما إن تتعرفوا على ذات الشخص الآخر حتى تتمكنوا من التقرب منه أكثر. ربّما بدا عالم التوحّد، من وجهة نظركم، مكانًا يكتنفه غموض عميق، لذا أرجوكم أن تخصصوا بعض الوقت لتستمعوا إلى ما لديّ لأقوله.

أتمنى لكم رحلة ميمونة في عالمنا.

ناووكي هيغاشيدا

اليابان، ٢٠٠٦

مكتبة

t.me/soramnqraa

はい ○ 取消し X いいえ
 Q W E R T Y U I O P
 A S D F G H J K L
 Z X C V B N M ?
 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
 田 「 」 () 行 田 おわり

あいうえお
 かきくけこ □
 さしすせそ □
 たちつてと
 なにぬねの □ □ □
 はひふへほ
 まみむめも 、
 や ゆ よ °
 らりるれろ
 わ を ん
 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10



السؤال الأول

كيف تكتب هذه الجمل؟

شبكة الحروف الأبجدية طريقة للتواصل غير الصوتي. ربما تعتقدون أن النطق يشكّل الوسيلة الوحيدة لإيصال أفكاركم ومقاصدكم إلى الآخرين، لكن توجد طريقة أخرى لإيصال ما ترغبون في قوله من دون استخدام الجهاز العصبي الصوتي. في البداية، لم أحلم أبدًا بالنجاح في ذلك، بيد أنني أصبحت الآن قادرًا تمامًا على التعبير عن ذاتي الحقيقية باستخدامي الحاسوب وشبكة الأبجدية وحسب.

كان شعورًا لا يُعقل! فالعجز عن الكلام يعني عدم القدرة على مشاركة الآخرين مشاعرك أو أفكارك. وتصبح معه أشبه بدمية تمضي حياتك كلها في عزلة، من دون أحلام ومن دون آمال. استغرق الأمر فترة طويلة، بالطبع قبل أن أتمكن في النهاية من التواصل عبر كتابة النصوص، إلا أنني في ذلك اليوم الأول الذي سندت أمني يدي التي أكتب بها بيدها، شرعت في اكتساب طريقة جديدة للتفاعل مع الآخرين.

ثم ابتكرت أُمِّي شبكة الأبجدية لتمنحني مزيدًا من الاستقلالية في التواصل. مُكِّنني هذه الشبكة من تركيب كلماتي بمجرد إشارتي إلى أحرفها بدلًا من اضطراري إلى كتابتها الواحد تلو الآخر. وهو ما سمح لي أيضًا بربط كلماتي، الكلمات التي كانت ستصبح مشوشة ما إن أحاول النطق بها.

غالبًا ما شعرت بالانهزام التام وأنا أتعلّم هذه الطريقة. لكنني بلغت في النهاية الحدّ الذي يمكنني فيه الإشارة بنفسني إلى الأحرف. وما ساعدني على مواصلة المحاولة هو فكرة أن ما من شيء أهم من القدرة على التعبير عن نفسي لكي أعيش حياتي ككائن بشري. ولذا لم تكن شبكة الأبجدية تتعلّق فقط بالنسبة إليّ بتركيب الجمل، بل بأن أوصل للآخرين ما أريد وما أحتاج أن يفهموه.



السؤال الثاني

لماذا يتحدث

المتوحدون بصوت عالٍ وبغرابة؟

يقول لي الناس في الغالب إن صوتي عالٍ فعلاً عندما أحادث نفسي، رغم أنني لا أزال أعجز عن قول ما أحتاج إلى قوله حتى عندما يتّصف صوتي في أوقات أخرى بالنعومة الشديدة. صوتي من الأمور التي لا أستطيع السيطرة عليها، وهو ما يُحبطني. لماذا لا أستطيع معالجته؟

لا أتعمّد الأمر لدى التحدّث بصوت غريب. وهناك، بالطبع، بعض الأوقات التي أجد فيها أن نغمة صوتي تريحني، عندما أتفوّه بكلمات مألوفة أو بجمل يسهل التلقّف بها. لكن الصوت الذي لا أستطيع السيطرة عليه مختلف. فهو يندفع، ليس لأنني أريد ذلك: بل لأن الأمر يشبه أكثر ردّ الفعل اللاإرادي.

ردّ فعل لاإرادي على ماذا؟ إنه في بعض الحالات ردّ فعل على أمر رأيته للتوّ، أو على ذكريات معيّنة ماضية. ويستحيل ضبط الصوت الغريب عندما ينطلق - وإذا حاولتُ فإن المحاولة تؤلّمني كما لو أنني أخنق نفسي.

ولا أجد أنا نفسي بأسًا بصوتي الغريب، لكنني أدرك أنه يزعج الآخرين.
فكم من مرّة أصابتني الأصوات الغريبة الصادرة من فمي بالإرباك حد
الموت تقريبًا. وأصدُكم القول إنني أريد أن أكون لطيفًا وهادئًا وساكنًا أيضًا!
وحتى ولو أمرنا بإبقاء أفواهنا مغلقة أو بأن نهدأ، فإننا وببساطة لا نعرف
كيف. أشعر بأن أصواتنا، مثل تنفّسنا، تخرج فحسب بلا وعي من أفواهنا.



السؤال الثالث

لماذا تطرح السؤال نفسه مرارًا وتكرارًا؟

هذا صحيح؛ فأنا أطرح دومًا الأسئلة نفسها. «في أي يوم نحن؟» أو «هل الغد يوم دراسي؟». أطرح السؤال في شأن أمورٍ بسيطة كهذه وأعيد طرحه المرّة تلو المرّة. وليس سبب تكرار السؤال أنني لم أفهم. الواقع هو أنني، حتى في أثناء السؤال، أعرف أنني أفهم.

السبب في ذلك أنني أنسى سريعًا ما سمعته للتوّ. إذ لا يوجد في داخل رأسي فارق كبير حقًا بين ما قيل لي للتوّ وبين ما سمعته منذ فترة طويلة جدًا.

وأنا بالتالي أفهم الأمور، لكنّ طريقتي في تذكرها مختلفة عن أي شخص آخر. أتصوّر أن ذاكرة الشخص الطبيعي مرتّبة في شكل دائم، أشبه بالخط. أما ذاكرتي فأشبهه بحوض من النقاط. وأنا «في حالة التقاط» دائم لهذه النقاط - من خلال طرح الأسئلة - وذلك لأرجع إلى الذكرى التي تمثّلها تلك النقاط.

غير أن هناك سببًا آخر لأسئلتنا المتكرّرة: يسمح هذا لنا باللعب بالكلمات. فنحن لا نجيد المحادثة، ومهما بذلنا من الجهد فلن نتحدّث أبدًا

بالسهولة نفسها التي تتحدّثون بها. بيد أن الاستثناء الكبير يتمثّل بالكلمات والجمل التي نألفها بشكل جيد. فتكرارها يشكّل متعة كبيرة. وهي أشبه بلعبة التقاط الكرة. وعلى عكس الكلمات التي نُؤمّر بقولها، فإنّ تكرار الأسئلة التي نعرف إجاباتها يشكّل لنا لذة - إنه لعب بالصوت والإيقاع.



السؤال الرابع

لماذا تعيد ترداد السؤال على السائل؟

لاحظتُ، لوقت طويل، أن المتوحّدين غالبًا ما يردّدون الأسئلة كالبيغاء. فنحن بدلاً من الإجابة عن السؤال نعيد طرحه على السائل فحسب. اعتقدتُ في السابق أننا، ببساطة، نفعل ذلك لأننا لا نعرف كيفية الإجابة، لكنني أعتقد الآن أن في الأمر لغزاً أكبر من هذا.

تُشكّل إعادة طرح السؤال طريقةً للتنقيب في داخل ذكارتنا لالتقاط المؤشّرات المتعلّقة بما يطرحه علينا السائل. صحيح أننا نفهم السؤال، لكننا لا نستطيع الإجابة عنه إلى أن نلتقط في رؤوسنا «صورة الذاكرة» الصحيحة.

وهذه عملية على درجة كبيرة من التعقيد. أقوم أولاً بالبحث في ذاكرتي للعثور على التجربة الأقرب إلى ما يحدث الآن. وعندما أعثر على تمثّل جيّد، تقضي خطوتي التالية باستعادة ما قلته في ذلك الوقت. وإذا حالفني الحظ، أصادفُ تجربةً صالحة للاستعمال، ويسير كلّ شيء على ما يرام. أما إذا لم يحالفني الحظ فيجتاحني الإحساسُ نفسه بالغرق الذي شعرت به في الأصل، وأعجز عن الإجابة عن السؤال المطروح. ومهما بذلتُ من الجهد لوقف هذا

الصوت الغريب، فإنه يتملص مني ويزيدني ارتباكًا وإحراجًا، وبالتالي يصبح قول أي شيء أصعب.

ونحن نتدبر أمرنا أفضل بكثير في المحادثات ذات «النمط المحدد»: بيد أن هذه الأنماط لا تنفع، طبعًا، عندما يتعلق الأمر بالحديث عن مشاعرك. والواقع هو أنك باعتمادك عليها أكثر مما يجب، قد ينتهي بك الأمر قائلًا عكس ما أردت قوله. أقسم لكم أن الحديث عمل شاق جدًا! إذ يبدو كأن عليّ التحدّث بلغة أجنبية مجهولة في كل دقيقة من كل يوم، لأجعل كلامي مفهومًا.



السؤال الخامس

لماذا تفعل أمورًا لا يجدر بك فعلها وإن أنهيت عنها مليون مرّة؟

«كم مرّة عليّ أن أقول لك؟»

نحن المتوحّدين نسمع ذلك كل الوقت. وأنا، أتعرّض دومًا للتوبيخ لفعلي الأمور السابقة نفسها. قد تبدو أشرارًا بسبب شقاوتنا، لكننا، صدقًا، لسنا كذلك. وعندما نتعرّض للتوبيخ نستاء بشدّة لأننا قد قمنا، مرّة أخرى، بما طلب منا الامتناع عنه. لكن ما إن تتوفّر الفرصة مرّة أخرى حتى نكون قد نسينا تمامًا أمر المرّة السابقة، وننساقي ثانيةً فحسب، وكأن شيئًا ليس منا هو الذي يحثنا على ذلك.

لا بدّ أنكم تفكّرون: «ألن يتعلّم أبدًا؟». نعرف أننا نحزنكم ونزعجكم، لكنني أخشى أن لا قول لنا في ذلك، تلك هي القصة وما فيها. لكن نرجوكم، مهما فعلنا، ألا تتخلّوا عنا. فنحن نحتاج إلى مساعدتكم.



السؤال السادس

أتجد أن اللغة الصبانية أسهل للفهم؟

الأولاد المتوحدون ينمون هم أيضًا ويتطورون يومًا بعد يوم، إلا أننا مع ذلك نعامل كالأطفال. وأعتقد أن السبب يكمن في أننا نبدو، في تصرفاتنا أصغر من عمرنا الحقيقي؛ لكنني أتمزق حقًا في كل مرة يعاملني فيها أحد وكأنني طفل. لا أعرف إذا كان الناس يعتقدون أنني أفهم أكثر إذا كلموني بلغة الأطفال، أو أنني أفضل أن يحدثوني بهذه الطريقة.

وأنا لا أطلب منكم أن تتعمدوا استخدام لغة صعبة لدى حديثكم مع المتوحدين - بل أن تعاملونا كما نحن، بحسب عمرنا فحسب. وفي كل مرة يتحدث إلي أحد بتعالٍ أشعر بالبؤس التام - كما لو أنني لا أُمْنَح أي فرصة بمستقبل لائق.

العطف الحقيقي لا يكون بتحطيم احترام الذات لدى الآخر. هذا رأيي على أي حال.





السؤال السابع

لماذا تتحدّث بهذه الطريقة الغريبة؟

يتحدّث المتوحّدون بنبرة غريبة أحياناً، أو يستخدمون اللغة بطريقة مختلفة. ويمكن لغير المتوحّدين فرز ما يريدون قوله في الوقت الفعلي للمحادثة. لكن في حالتنا، فإن ما نريد قوله وما يمكننا قوله لا يتطابقان دوماً. وهو ما يجعل كلامنا، بحسب اعتقادي، يبدو غريباً. عندما تكون هناك فجوة بين ما أفكّر فيه وبين ما أقوله، فهذا لأن الكلمات التي تخرج من فمي هي الوحيدة التي يمكنني الوصول إليها في حينه. وتتوفّر هذه الكلمات إما لأنني أستخدامها بشكل دائم وإما لأنها خلّفت لديّ انطباعاً دائماً في وقت ما في الماضي.

ربما اعتقد البعض منكم أننا أيضاً نقرأ بصوت مرتفع وبنبرة غريبة، وهذا لأننا لا نستطيع قراءة القصة وتخيّلها في آن. ففعل القراءة بذاته يكلفنا جهداً عظيماً - لأن تنظيم الكلمات ونطقها بطريقة ما يشكلان مشقّة كبيرة بذاتهما.

بيد أن المزيد من الصبر من شأنه أن يساعد. رجاءً لا تسخروا منّا أبداً، حتى عندما يكون أداؤنا ناقصاً.



السؤال الثامن

لماذا تستغرقك الإجابة عن الأسئلة دهرًا؟

أنتم، أيها الناس الطبيعيون، تتحدثون بسرعة لا تُعقل. لا تستغرقون بين تفكيركم بأمر ما في رأسكم وبين قوله سوى جزء من الثانية. وهذا، بالنسبة إلينا، أشبه بالسحر!

هل من خلل في مجموعة الدوائر في دماغنا؟ الحياة، إلى حدّ كبير، قاسية دومًا على المتوحّدين، ومع ذلك لم يتمكن أحد، في الحقيقة، من تحديد أسباب هذا التوحّد. ومن المؤكّد أن الردّ على ما قاله الآخر للتوّ يستغرق دهورًا. حاجتنا إلى هذا القدر من الوقت لا ترجع بالضرورة إلى عدم فهمنا، بل لأننا ما إن يحين دورنا في الكلام حتى يكون الجواب الذي أردنا إعطاءه قد تبخّر في الغالب من رؤوسنا.

لا أدري إذا كان ذلك يعني لكم الكثير. فما أن يختفي ردّنا حتى نعجز عن استعادته. ما الذي قاله؟ كيف سأجيب عن سؤاله؟... وما أدراني! وفي هذه الأثناء يستمرّ تعرّضنا للقصف بمزيد من الأسئلة، وينتهي بي الأمر وأنا أفكر أنّ الأمر ميئوس منه فحسب، كما لو أنني أغرق في فيض من الكلمات.



السؤال التاسع

هل علينا الإصغاء إلى كل كلمة تقولها؟

ألا تعتقدون أنّ إصدار الأصوات عن طريق الفم ليس كالتواصل نفسه؟ وأظن أن معظم الناس لا يمكنهم استيعاب ذلك تمامًا. ألا يقضي الاعتقاد السائد بأن الشخص إذا استخدم اللغة الصوتية فذلك يعني أنه يقول ما يودّ قوله؟ وبفضل هذا الاعتقاد يصبح المتوحّدون أكثر انغلاقًا على ذواتهم.

وكون البعض منّا يستطيع إصدار الأصوات، أو التلقّف بكلمات، لا يعني بالضرورة أن ما تفوّهنا به هو ما أردنا قوله حقًا. بل إننا نخطئ حتى في أسئلة مباشرة تتطلّب الإجابة بـ «نعم» أو بـ «لا». ويحدث معي دومًا أن لا يفهم الآخر ما قلته للتوّ أو أن يسيء تفسيره.

ولأنني بالكاد أستطيع إجراء محادثة، فإنّ تصحيح خطأ يتجاوز طاقاتي. وفي كل مرّة ينتهي بي الأمر إلى كره نفسي لكوني عديم الفائدة ومنغلقًا. فرجاءً لا تفترضوا أن كل كلمة نتفوّه بها هي التي نقصدها. أعرف أن هذا ما يجعل التواصل بيننا صعبًا - حتى أننا لا نستطيع استخدام الإيماءات - إلا أننا نسألكم بكل جوارحنا أن تفهموا ما يجري في داخل قلوبنا وأذهاننا. إن مشاعري هي في الأساس وإلى حدّ كبير شبيهة بمشاعركم نفسها.



السؤال العاشر

لماذا لا نستطيع إجراء محادثة صحيحة؟

تساءلتُ ولفترة طويلة لماذا لا نتكلم، نحن المتوحدين، بطريقة صحيحة. فأنا لا أستطيع التلقظ أبدًا بما أريد قوله حقًا. ويخرج من فمي بدلًا من ذلك لَغْوٌ لفظي لا علاقة له البتة بأي شيء. وهذا غالبًا ما يُحِطِنِي بشدّة، فلا أستطيع إلا أن أحسد جميع أولئك الناس الذين يستطيعون الكلام من دون حتى أن يحاولوا ذلك. فمشاعرنا شبيهة بمشاعر أي أحد آخر، لكننا لا نجد الطريقة للتعبير عنها.

بل إننا لا نمتلك السيطرة المناسبة على أجسامنا. ويصعب علينا السكون والتحرك عندما يُطلب منا ذلك - فالأمر أشبه بالتحكّم عن بعد بجهاز آليّ فيه خلل. ونتعرّض، فوق ذلك كلّهُ، للتوبيخ، ولا يمكننا حتى أن نشرح موقفنا. تَعَوَّدتُ الشعور وكأن العالم كلّهُ قد تخلى عني.

نرجوكم ألا تحكموا علينا من مظهرنا الخارجي فقط، فأنا لا أعرف لماذا لا نتكلم كما يجب. لكن ذلك لا يعني أننا لن نتكلم - بل الواقع أننا لا نستطيع الكلام، وأننا نتألّم لهذا السبب. ولا يوجد ما يمكننا فعله وحدنا.

حيال هذه المشكلة. مرّت عليّ أوقات تساءلت فيها، أنا الصامت، لماذا جئتُ إلى هذه الدنيا. لكنني، وقد شرعت في التواصل عبر النص، أصبحتُ قادرًا اليوم على التعبير عن نفسي من خلال شبكة الأبجدية والحاسوب، وأعتقد أن قدرتي على مشاركة الآخرين في ما أفكّر به تتيح لي إدراك أنني، أنا أيضًا، موجود في هذا العالم كإنسان.

أيمكنكم أن تتصوّروا كيف ستكون حياتكم لو أنكم فقدتم ملكة النطق؟

لغز الكلمات الناقصة

لا نستخدم، نحن الأولاد المتوحّدين، ما يكفي من الكلمات، وهذه الكلمات الناقصة هي التي تتسبّب بكل هذا العناء. في المثال التالي، يتحدّث ثلاثة أصدقاء عن رقيقة صفّهم المتوحّدة.

«لقد قالت 'جميعنا' من تَوْها!».

«إدّاً... لا بدّ أن ذلك يعني أنها تريد الانضمام إلينا، أليس كذلك؟».

«لا أدري. ربّما تريد أن تعرف إذا كنا جميعنا نفعل ذلك».

والواقع أن عبارة «جميعنا» التي استخدمتها الفتاة المتوحّدة تأتي من شيء سبق للمعلّم أن قاله ذلك اليوم: «غداً، سنذهب جميعنا إلى المتنزه». وما أرادت الفتاة معرفته هو موعد ذهابهم. حاولت قول ذلك من خلال تكرار «جميعنا» وهي الكلمة الوحيدة التي أمكنها استخدامها. وهنا يمكنكم أن تلاحظوا كيف أن كلماتنا الناقصة تثير مخيلاتكم وترسلكم في مطاردة عقيمة هنا وهناك وفي كل مكان.

إنها حقّاً لغة غامضة تلك التي نتحدّث بها نحن المتوحّدين!



السؤال الحادي عشر

لماذا لا تنظرون مباشرة في العيون عندما تتحدّثون؟

صحيح أننا لا ننظر كثيراً في أعين الناس. وقيل ليّ المرّة تلوّ المرّة، تلوّ المرّة، تلوّ المرّة، «انظر كما يجب إلى عيني من تتحدّث معه»، لكنني لا أزال عاجزاً عن ذلك. فالنظر مباشرة إلى عيني الشخص الذي أحادثه يُشعّرنِي ببعض من الخوف، وبالتالي أتفاداه.

إلى أين أنظر بالضبط؟ ربما تفترضون أننا ننظر إلى أسفل، أو إلى خلف. لكنكم مخطئون، لأن ما ننظر إليه في الواقع هو صوت الآخر. قد تكون الأصوات غير مرئية، لكننا نحاول الإنصات إلى الآخر بكل حواسنا. وما إن نركز كلياً على إدراك ما أنت في صدد قوله، حتى تفقد حاسة نظرنا، نوعاً ما، الشعور بالمحيط. وإذا لم يستطع المرء إدراك كُنْهِ ما ينظر إليه، يصبح الأمر أشبه بعدم رؤية أي شيء على الإطلاق.

ما أزعجني لفترة طويلة هو هذه الفكرة لدى الناس بأننا طالما نحفظ بالاتصال البصري عندما يتحدّثون إلينا فإن ذلك وحده يعني أننا نستوعب كل كلمة. في الحقيقة، لو أن ذلك كلّ ما في الأمر لشُفيْتُ من إعاقتي منذ زمن طويل، طويل جداً...



السؤال الثاني عشر

يبدو أنك تكره الإمساك بأيدي الناس

ليس الأمر أننا لا نحب الإمساك بالأيدي، بل إننا فقط، إذا وقع نظرنا على شيء مثير للاهتمام، لا نستطيع إلا أن نندفع نحوه ونترك اليد التي كنا نمسك بها. وأنا لا أتذكر حتى ترك اليد إلا بعد أن أسمع الشخص الآخر يقول، «يبدو أنه لا يريد الإمساك بيدي».

أحبطني ذلك غالبًا. لكن، لأنني لا أستطيع أن أشرح للشخص المعني لماذا أفلتُ يده، وبما أنني في الواقع أجد صعوبة في الإمساك بيده لفترة طويلة، فليس بإمكانني فعل الكثير بشأن سوء التفاهم هذا.

ولا يتعلّق الأمر في الحقيقة بهوية الشخص الذي أُمسِك بيده، أو حتى بعملية إمساك اليد بحدّ ذاتها. فما علينا أن نعالجه هو هذا الحافز لدى الأولاد المتوحّدين للاندفاع سريعًا نحو أي شيء يبدو، ولو من بعيد، مثيرًا للاهتمام.



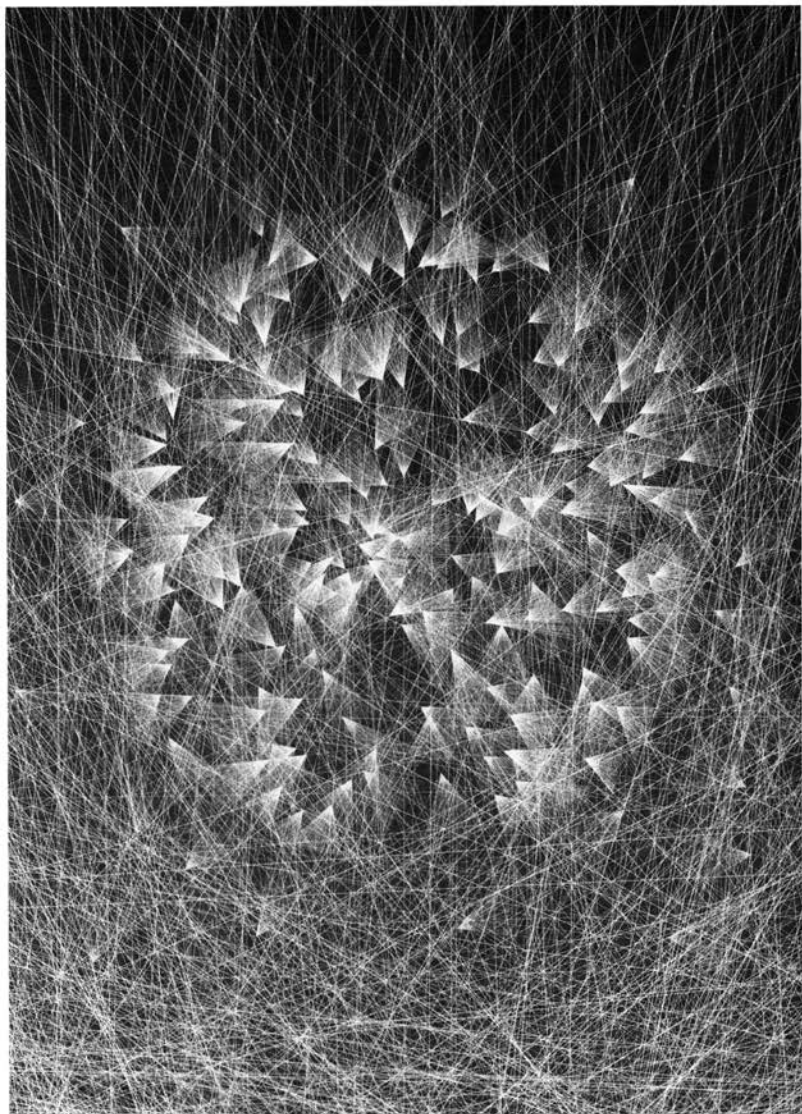
السؤال الثالث عشر

هل تفضّل أن تُترك وشأنك؟

«لا تقلقوا بخصوصه - فهو يفضّل أن يُترك وشأنه».

كم مرّة سمعنا ذلك؟ أعتقد أن ما من إنسان يودّ فعلاً أن يُترك وشأنه. لا، لأن ما يقلقنا، نحن المتوحّدين، هو أننا نتسبّب للباقيين منكم بالإزعاج، أو أننا حتى نغيظكم. ولهذا يصعب علينا البقاء في جوار الآخرين، ولهذا نُترك في الغالب وحدنا.

والحقيقة هي أننا نحب ملازمة آخرين. لكن ينتهي بنا المطاف بأن نتعوّد البقاء لوحدها، حتى من دون أن نلاحظ حدوث ذلك، لأن الأمور لا تسير أبداً، وقطعاً، كما يجب. وكلّما تناهت إلى سمعي ملاحظة يطلقها أحد ما عن مدى تفضيلي البقاء لوحدي، شعرتُ بشكل يائس بالوحدة. يبدو لي الأمر وكأنهم يتعمّدون ازدرائي.





السؤال الرابع عشر

لماذا تتجاهلنا عندما نتحدّث إليك؟

لا يسعني أن ألاحظ الشخص إذا حدّثني من بعيد. ربما تفكّرون أن «الأمر نفسه يحدث معنا»، أليس كذلك؟ إلا أن ما يتسبّب لي بمتابعب كثيرة هو أنني حتى ولو كان الشخص أمامي تمامًا، لا ألاحظ عندما يتحدّث إليّ.

«عدم الملاحظة» تختلف معنًى عن «التجاهل عن قصد». يفترض الناس في الغالب أنني متعجرف أو «متخلف». ويجعلني من حولي أدرك دومًا أن الحديث موجّه إليّ بقولهم أشياء مثل، «ردّ التحية يا ناووكي»، أو «ماذا تقول؟» وهكذا كلّما حدث ذلك، ردّدتُ ما طُلب منّي قوله كالبيغاء الذي يتعلّم كلمة جديدة. ورغم ذلك أشعر بالذنب حيال الشخص الذي حدّثني، ولا أستطيع حتى الاعتذار، فينتهي بي الأمر بآسًا وأشعر بالخجل لأنني لا أستطيع تدبّر أمري في علاقة إنسانية سليمة.

لا يسع من ينظر إلى الجبل في البعيد ملاحظة جمال زهرة الأقحوان أمامه. ومن ينظر إلى الأقحوان أمامه لا يرى جمال الجبل في البعيد. وأصوات الناس، بالنسبة إلينا، تشبه ذلك إلى حدّ ما. فمن الصعب جدًّا

علينا أن نعرف أن الشخص موجود في المكان وأنه يتحدث إلينا فقط من خلال صوته.

وبالتالي لو أمكنكم وحسب ذكر أسمائنا أولاً لنتنبّه إليكم قبل أن تبدأوا بالحديث معنا، سيساعدنا ذلك للغاية.



السؤال الخامس عشر

لماذا تعابير وجهك محدودة جدًا؟

تبدو تعابيرنا محدودة لأنكم لا تفكرون مثلنا. وقد أزعجني لفترة طويلة عدم تمكّني من مشاركة الجميع ضحكهم. الفكرة التي يمتلكها المتوحّد عمّا هو ممتع أو مثير للضحك لا تتطابق، كما أعتقد، مع فكركم. بل أكثر من ذلك، فنحن نشعر في بعض الأوقات باليأس التام - فحياتنا اليومية طافحة بالأمر القاسية التي علينا التعامل معها. وإذا فوجئنا في أحيان أخرى، أو شعرنا بالتوتر أو بالارتباك، نتجمّد في أماكننا فحسب، ونعجز عن إظهار أي نوع من أنواع الانفعال.

انتقاد الناس وتصفية الحساب معهم، واعتبارهم حمقى أو خداعهم، لا يُضحك المتوحّدين. قد نبسم من الداخل لرؤية شيء جميل، كما قد تحملنا إحدى الذكريات على الضحك. ويحدث هذا في العادة عندما لا نكون على مرأى من أحد. كما أننا قد ننفجر بالضحك، ليلاً ولوحدنا، تحت الغطاء، أو نضحك بصوت مرتفع في غرفة فارغة... وعندما لا نحتاج إلى التفكير بالأشخاص الآخرين أو بأي شيء آخر، تظهر على محيّانا تعابيرنا الطبيعية.



السؤال السادس عشر

أصبح أنك تكره أن يلمسك أحد؟

ليس لديّ، شخصيًّا، أي مشكلة مع الاتصال الجسدي، لكن المؤكد أن بعض المتوحّدين لا يطيقون أن يعانقهم أحد أو يلمسهم. صدقًا، لا أعرف السبب في ذلك - أعتقد أن ذلك يشعرهم بالضيق فحسب. فحتى الطريقة التي نعدّل بها ثيابنا للتوافق مع فصول السنة، كارتداء المزيد من الملابس في الشتاء وتخفيفها في الصيف، يمكن أن تكون قضية كبرى لمن يعانون من المشكلات مع اللمس. فالتصرّف وفق تغيّرات الوضع يشكّل أمرًا عسيرًا.

وبشكل أعمّ، إن لمس أحد شخصًا متوحّدًا يعني ذلك أن اللمس يمارس السيطرة على جسم لا يستطيع حتى صاحبه السيطرة عليه كما يجب. وكأننا نفقد ماهيتنا. فكّروا في الأمر... مرعب!

وهناك أيضًا الهلع من أن أفكارنا ستظهر للعيان إذا تمّ لمسنا. وفي هذه الحال، سيقلق الآخر بشأننا. أترون؟ نحن نضع الحواجز من حولنا لمنع الناس من الدخول إلى حيّزنا.



السؤال السابع عشر

لماذا تلوّح مودّعًا وراحة يدك قبالة وجهك؟

عندما كان يُقال لي في صغري: «لوّح مودّعًا!»، تعوّدت أن ألوّح وراحة يدي إلى الداخل في مواجهتي. ووجدتُ أن ممارسة التمارين الرياضية البسيطة والرقص تكاد تكون مستحيلاً عليّ. والسبب في ذلك أن تقليد الحركة يصعب على المتوحّدين. لسنا على معرفة جيّدة بأجزاء جسمنا، ولذا فإن تحريك تلك الأجزاء التي يمكننا ملاحظتها بأعيننا يشكّل الخطوة الأولى في اتجاه تقليد الحركة بالشكل المناسب.

لم أستوعب أبدًا قول الناس لي إنني ألوّح مودّعًا بالطريقة المعاكسة، إلى أن شاهدتُ نفسي في أحد الأيام على المرأة الكبيرة. وأدركتُ عندها أنني ألوّح مودّعًا نفسي!

مكتبة

t.me/soramnqraa

الانزلاق والانقلاب

«يمكنني الركض أسرع من أي منكم!» قالها الأرنب وهو ينطلق مسرعاً.

أجابت السلحفاة بنزق: «لكن سبق لنا أن قمنا منذ فترة طويلة بهذا السباق لتسوية المسألة، وبحثتُ، فأنا الأسرع».

لم يُبدِ أي من الحيوانات الأخرى الكثير من الاهتمام. «آه، ومن يبالي؟». لكن الأرنب أصرَّ على القيام بسباق آخر، فأذعنت السلحفاة وأخذت موقعها عند خط الانطلاق.

أوشك السباق بين الأرنب والسلحفاة على البداية.

«استعداد، ثبات، انطلق!»

انطلق الأرنب بسرعة رهيبية.

انزلقت السلحفاة وانقلبت على ظهرها، فهرعت الحيوانات كلها للاطمئنان عليها: «يا للمسكينة، أنتِ بخير؟ الأفضل لك المضي إلى منزلك والراحة».

وهكذا حملوا كلهم السلحفاة عائدين بها إلى منزلها.

أما الأرنب، فبلغ خط النهاية.

ولم يجد أحداً سواه في انتظاره.



السؤال الثامن عشر

ما الذي يجول في ذهنك عندما تكون في إحدى أزهى حالاتك؟

أحيانًا، يشرع المتوحّدون، في الضحك بصوت مرتفع أو يبدو عليهم أنهم يستمتعون للغاية لوحدهم ومن دون سبب ظاهر. لا بدّ أنكم قد تتساءلون، ما الذي جرى له، يا ترى؟

في أوقات كهذه تحدث لنا «تخيّلات». أو هي ليست تخيّلات بالفعل، بل إننا نختبر صورًا أو مشاهدَ تقفز إلى أذهاننا من حيث لا ندرى. ربما تكون ذكرى أمر أضحكنا، أو صفحة من كتاب قرأناه.

قد يصعب عليكم فهم ذلك. لكن حاولوا أن تنظروا إلى هذه «الثمالة» بوصفها تجليًا أقوى لتلك الأوقات التي تتذكرون فيها أمرًا مضحكًا فلا تتمالكون أنفسكم عن إطلاق ضحكة خافتة بسببه.



السؤال التاسع عشر

كيف تبدو ذكرياتك الارتجاعية؟

نحن نتذكر ما فعلناه، ومتى وأين ومع مَنْ قمنا به، وأموراً كهذه، لكن هذه الذكريات مبعثرة كلها ولا تتربط أبداً بالترتيب الصحيح. والمشكلة مع الذكريات المبعثرة هي أنها تعيد عرض نفسها في رأسي كما لو أنها حدثت للتوّ - لذا تعود الانفعالات التي شعرتُ بها في الأساس مسرعة إليّ، أشبه بعاصفة مفاجئة. هذه هي الذاكرة الارتجاعية.

أعرف أنني أمتلك الكثير من الذكريات الجميلة، لكن ذكرياتي الارتجاعية دوماً سيئة، فأصاب من حيث لا أدري بالكدر الشديد وأنفجر بالبكاء أو أشعر بالذعر فحسب. حتى لو كانت هذه الذكرى من زمن بعيد - تطفح المشاعر البائسة نفسها التي شعرتُ بها في ذلك الوقت وتفيض من دون توقّف.

وما عليكم، عندما يحدث ذلك، إلا أن تتركونا نبكي كفايتنا، فنتمكّن بعدها من التعافي من جديد. وربما تصيبكم الجلبة التي نُحدثها ببعض التوتّر، لكننا نرجوكم أن تحاولوا فهم ما نمرّ به وأن تبقوا معنا.

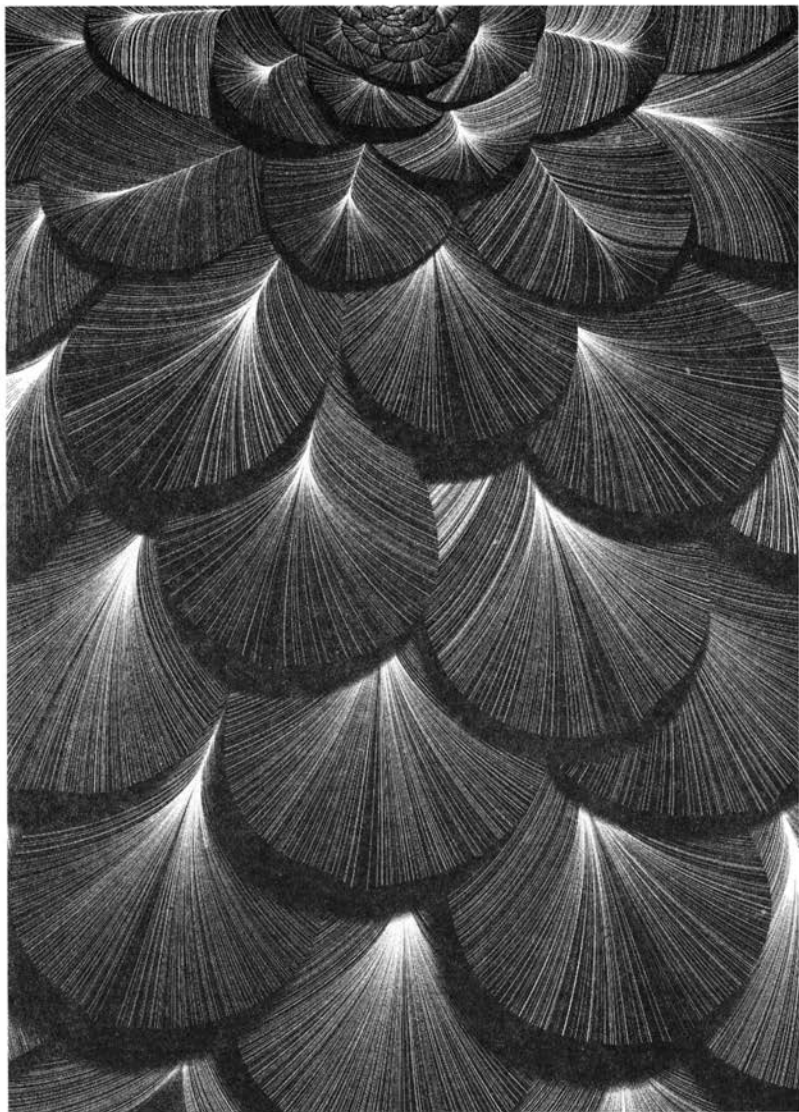


السؤال العشرون

لماذا تثير هذا القدر من الجلبة بسبب أخطاء طفيفة؟

عندما أرى أنني ارتكبتُ خطأ ما ينغلق ذهني. فأبكي وأصرخ وأثير جلبة كبيرة، ولا أستطيع بعد ذلك أبداً أن أفكر في أي شيء بشكل صحيح. ويشكل الخطأ بالنسبة إليّ، مهما صغر، مسألة ضخمة، كما لو أن السماء والأرض انقلبتا رأساً على عقب. ولا أطيق، على سبيل المثال، أن أهدر نقطة ماء واحدة لدى سكبني الماء في الكوب. وأعرف تمام المعرفة أن ذلك ليس بالأمر الجلل. لكنني أكاد أعجز عن السيطرة على انفعالاتي. فما أن أرتكب غلطة حتى يندفع واقع أنني ارتكبتها صوبي كالتسونامي. وعندها، تدمّرني الصدمة كما يدمّر التسونامي الأشجار أو المنازل. تبتلعني اللحظة ولا أستطيع التمييز بين الجواب الصحيح والجواب الخطأ. جلّ ما أعرفه أن عليّ الخروج من هذا الوضع بأسرع ما يمكنني حتى لا أغرق. وسأفعل أي شيء للابتعاد: البكاء، الصراخ، رمي الأشياء، بل وحتى الضرب...

في النهاية، أهدأ وأعود إلى رشدي. ولا أرى عندها أي مؤشّر إلى كيفية تقدّم التسونامي، بل فقط الخراب الذي أحدثته. وعندما أرى ذلك، أكره نفسي. أكره نفسي فحسب.





السؤال الواحد والعشرون

لماذا لا تقوم على الفور بما يُطلب إليك؟

هناك أوقات لا أستطيع فيها القيام بما أريده أو بما يتوجب عليّ القيام به. وهذا لا يعني أنني لا أريد فعله. لكنني، وفي شكل من الأشكال، لا أستطيع تمالك نفسي تمامًا. فلا يمكنني، حتى لتنفيذ عمل واحد واضح، أن أشرع به بالسهولة نفسها التي تستطيعونها. وإليكم كيف عليّ السير بالأمور:

١. أفكر بما سأفعله.

٢. أتصوّر كيفية فعله.

٣. أشجّع نفسي على الشروع به.

ويتوقّف مدى السهولة التي أتمكّن فيها من إنجاز العمل على مدى السهولة التي تجري فيها هذه العملية.

وهناك أوقات لا أتمكّن فيها من التصرف، حتى ولو أردت ذلك فعلاً وبشدّة. وهي عندما يكون جسمي خارج سيطرتي. ولا أعني بذلك أنني مريض أو أي شيء من هذا. بل أشعر وكأنّ جسمي كلّهُ، باستثناء روحي،

يخصّ شخصًا آخر ولا أملك أي سيطرة عليه. ولا أعتقد أن في وسعكم أبدًا تخيّل مدى الألم الذي يسببه ذلك.

ولا يمكنكم دائمًا التكهّن بالأمر بمجرد النظر إلى المصابين بالتوحّد، لكننا لا نشعر أبدًا أن جسمنا ملك لنا بالفعل. فهو يسيء التصرف على الدوام ويخرج عن سيطرتنا. ونكافح، نحن العالقين في داخله، بقوة لجعله يفعل ما نطلب إليه فعله.



السؤال الثاني والعشرون

هل تكره عندما نُجبرك على القيام بأمر معين؟

نودّ، نحن الأولاد المتوحّدين، أن «تنتبهوا لنا». أي بمعنى آخر، «نرجوكم ألا تتخلّوا عنّا أبدًا». والسبب الذي يدفعني إلى القول «انتبهوا لنا»، هو أن بإمكاننا أن نكون أقوى لمجرّد أنكم تراقبونا.

بالاعتماد على ردود أفعالنا من دون سواها، يصعب عليكم أن تعرفوا إذا كنّا فهمنا ما تقولون أم لا. ولهذا نبقى غالبًا عاجزين عن القيام بشيء ما حتى لو بيّنتم لنا كيفية القيام به.

هذه حالنا وحسب. فنحن ببساطة لا نعرف كيفية إنجاز الأمور بالطريقة التي تقومون أنتم بها. لكننا، شأننا في ذلك شأن كلّ شخص آخر، نريد القيام بأفضل ما نستطيع. يُتّعسنا الشعور أنكم تخلّيتم عنّا. لذا نرجوكم الاستمرار في مساعدتنا، حتى النهاية.



السؤال الثالث والعشرون

ما الأسوأ في كونك متوحّدًا؟

أنتم لا تلاحظون أبدًا. ولا فكرة لديكم بالفعل كم نحن بائسون. قد يقول الأشخاص الذين يتولّون العناية بنا، «كما تعرفون فإن الانتباه لهؤلاء الأولاد عمل شاق فعلاً!» أما بالنسبة إلينا نحن - الذين نتسبّب دومًا بالمشكلات ولا فائدة منّا في معظم ما نحاول القيام به - فلا يمكنكم أن تتصوّروا مدى البؤس والحزن الذي نبلغه.

نتعرّض، كلّما قمنا بأمر خاطئ، للتوبيخ أو للسخرية، من دون أن نتمكّن حتى من الاعتذار، فينتهي بنا الأمر كارهين لأنفسنا ويائسين في شأن حياتنا، المرّة تلو المرّة، تلو المرّة. ويستحيل ألا نتساءل عن سبب ولادتنا في هذا العالم.

لكنني أطلب منكم، أنتم الذين تكونون معنا طوال اليوم، ألا تُجهّدوا أنفسكم بسببنا. لأننا، عندما تفعلون ذلك، نشعر وكأنكم تنكرون أي قيمة ممكنة لحياتنا على الإطلاق - وهو ما يحبط الروح المعنويّة التي نحتاجها للسمود. فالمحنة الأكبر بالنسبة إلينا، تتمثّل في فكرة أننا نتسبّب بالأسى للآخرين. صحيحٌ أننا نستطيع تحمّل مشقّاتنا، لكنّ فكرة أن حياتنا مصدر لتعاسة الآخرين أمر لا يُحتمل.



السؤال الرابع والعشرون

هل ترغب في أن تكون «طبيعياً»؟

ما الذي سنفعله إذا وُجدت طريقة تمكّنتنا أن نصبح «طبيعيين»؟ أراهن، ولا شك، على أن المحيطين بنا - أهالينا وأساتذتنا - سيطيرون فرحاً ويهتفون «هللويا! سنعيدهم على الفور طبيعيين!». وأنا أيضاً، أردتُ على مدى سنين، أن أكون طبيعياً. فحياة ذوي الحاجات الخاصة محيطة وقاسية إلى حدّ كبير؛ وقد تعودتُ التفكير أنني لو أمكن لي أن أعيش حياتي كشخص طبيعي سيكون ذلك من أفضل الأمور. مكتبة سرّ من قرأ

لكنني ربما أختار الآن البقاء على ما أنا عليه، حتى ولو طوّر أحدهم دواءً يشفي من التوحّد. لماذا وصلتُ إلى التفكير بهذا الشكل؟

تعلمتُ، بمختصر الكلام، أن كل إنسان، سواء كان معوّقاً أو غير معوّق، عليه أن يكافح ليعطي أفضل ما عنده، وتعلمتُ أنّ بالكفاح من أجل السعادة نبليج السعادة. وبالنسبة إلينا، كما ترون، فإن كوننا متوحّدين أمر طبيعي - وبالتالي لا نستطيع حتى أن نعرف بشكل مؤكد كيف تبدو «طبيعيّكم». لكن طالما أمكن لنا أن نتعلّم حبّ أنفسنا، فلا أدري مدى أهمّية مسألة كوننا طبيعيين أو متوحّدين.

الكائن الأرضي والرجل المتوحّد

كنتُ مسافرًا مع أهلي بالطائرة إلى هوكايدو، وكانت المرّة الأولى التي أطيّر فيها منذ سنوات عدّة. فوجئت لاكتشافي أن الشعور بالجاذبية وهي تشدّ بجسمي ممتع حقًّا. لم ألاحظ ذلك في المرة التي طرت فيها من قبل، لأنني حينها كنت لا أزال ولدًا صغيرًا. وأنا، على أي حال، ألفتُ هذه الرواية القصيرة...

كان ما كان، في قديم الزمان، كوكبٌ صغيرٌ أخضر، هادئٌ.

الرجل المتوحّد: حسنًا، أهلاً بك في عالمي.

الكائن الأرضي: ألا تشعر بأن هناك ما يثقل عليك؟ فأنا أشعر وكأن أثقالًا تزنر ذراعيّ وساقيّ.

الرجل المتوحّد: آه، لكنني أشعر وأنا على كوكبك كأنني أسبح في الفضاء، بوزن معدوم.

الكائن الأرضي: حسنٌ. أنا أفهمك الآن. أفهمك حقًّا.

لو وُجد كوكب في مكان ما له جاذبية ملائمة للمتوحّدين، فسنتمكّن عندها من التحرك فيه بحريّة.



السؤال الخامس والعشرون

ما السبب الذي يدفعك إلى القفز؟

ما الذي تعتقد أنني أشعر به عندما أقفز وأنا أصفّق بيديّ؟ أراهن على أنك تعتقد أنني حقًا لا أشعر بأكثر من البهجة الجنونية الظاهرة على محيّي.

لكنني وأنا أقفز، أشعر كأن أحاسيسي ترتفع صاعدة إلى السماء. والحقيقة أن توقي الشديد إلى أن تبتلعني السماء كافٍ لجعل قلبي يرتعش. ويمكنني أيضًا، عندما أقفز، أن أشعر بأعضاء جسمي بشكل جيد جدًا - ساقيّ الواثبتين ويديّ المصفقتين - وهذا يُشعّرنِي بارتياح كبير، كبير جدًا.

وذلك إذًا أحد الأسباب التي تدفعني إلى القفز، كما أنني لاحظت أخيرًا وجود سبب آخر. فالمتوحّدون يتفاعلون جسمانيًا مع مشاعر السعادة والحزن. وهكذا عندما يحدث أمر يؤثّر في عاطفيًا، «يتصلّب» جسمي كما لو أن ساعة ضربتني.

ولا أقصد «التصلّب» بمعناه الحرفي أي أن عضلاتي تتيبّس وتتوقّف عن الحركة، بل إنني أفقد حرّية التحرك بالطريقة التي أريدها. وهكذا يبدو

الأمر، من خلال قفزي، وكأنني أنفض الحبال التي تقيّد جسمي لأفقت منها. أشعر عندما أقفز أنني أخفّ وزناً، وأعتقد أن السبب في انجذاب جسمي نحو السماء هو أن الحركة تجعلني أرغب في التحوّل إلى طائر وأحلّق إلى مكان بعيد ما.

إلا أنّ جُلّ ما يمكننا فعله، وقد قيّدتنا أنفسنا والناس من حولنا، هو الزقزقة والرفرفة بأجنحتنا والقفز في داخل القفص. كم أودّ أن أرفرف بجناحيّ وأحلّق بعيداً إلى المجهول الأزرق الكبير، من فوق التلال، وإلى الأفاصي!

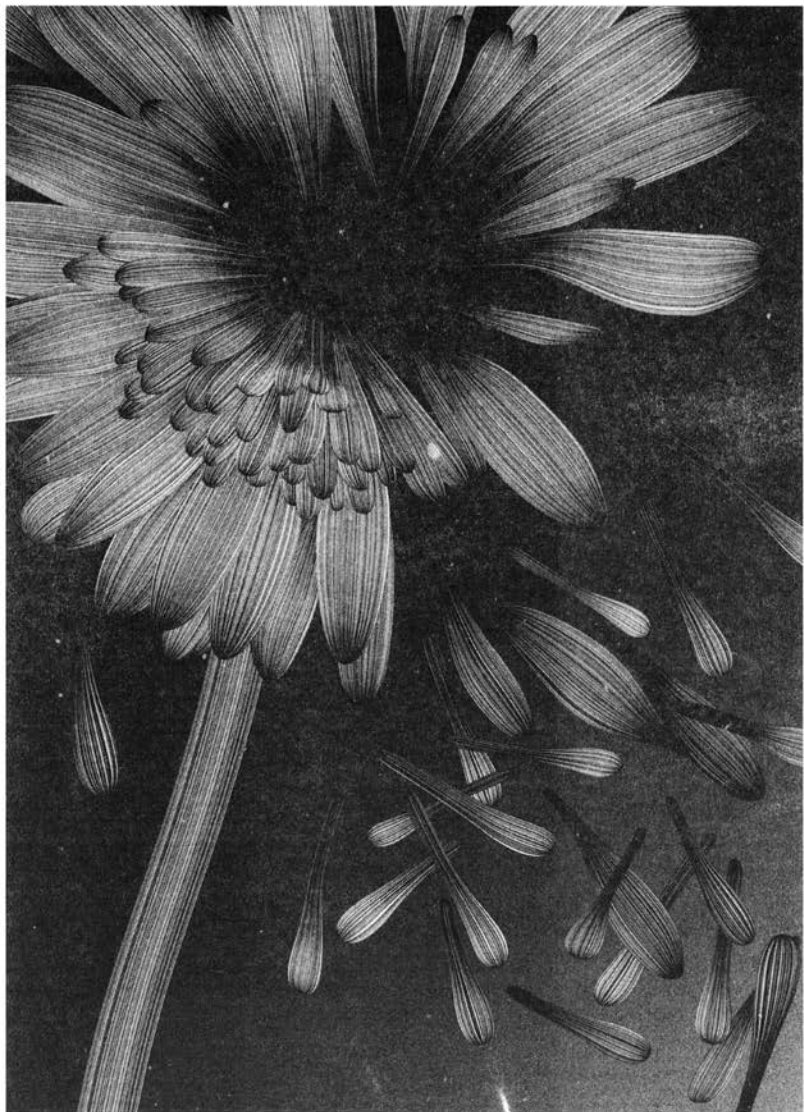
مكتبة
t.me/soramnqraa



السؤال السادس والعشرون

لماذا تخطّ أحرفاً في الهواء؟

غالبًا ما يخطّ المتوحّدون أحرفًا في الهواء. ولا بدّ أنكم تتساءلون: «أتحاول أن تخبرنا شيئًا؟» أو «هل تفكّر في أمر ما؟». وأنا، في حالتي، أكتب لكي أوكد ما أريد أن أتذكره. وأستذكر، وأنا أكتب، ما شاهدته - ليس كمّشاهد، بل كأحرف وإشارات ورموز. فالحروف والإشارات والرموز هي أقرب حلفائي إليّ لأنها لا تتغيّر أبدًا. هي على ما هي عليه وحسب، عالقة في ذاكرتي. وفي كلّ مرّة نشعر فيها بالوحدة أو بالسعادة نستحضر أحرفنا بالطريقة نفسها التي قد تدنون فيها أغنية لأنفسكم. وعندما أكتبها أنسى كلّ شيء آخر. فأنا لستُ لوحدي عندما أكون مع أحرفي. ويسهل علينا استيعاب الأحرف والرموز أكثر من الكلمات المحكيّة، وفي وسعنا أن نكون معها كلّما أردنا.





السؤال السابع والعشرون

لماذا يصمّ المتوحّدون آذانهم براحات أيديهم معظم الوقت؟ هل يفعلون ذلك لدى كثرة الضجيج؟

ثمّة ضوضاء لا تلاحظونها، لكنها تضايقنا فعلاً. وتتمثّل المشكلة هنا في أنكم لا تفهمون كيف يؤثّر الضجيج فينا. ولا يتعلّق الأمر بكون الضجيج يوتّرنا، بل للأمر علاقة أكبر بالخوف من أننا إذا واصلنا الاستماع سنفقد أي إحساس بمكان وجودنا. ونشعر في أوقات كهذه بأن الأرض تهتزّ من تحتنا، والمشهد من حولنا يشرع في الاقتراب للنيل منّا، وذلك مُرعب للغاية. وبالتالي فإنّ صمّ آذاننا براحة أيدينا هو إجراء نتّخذه لحماية أنفسنا وإعادة إدراك مكان وجودنا.

وتختلف الضوضاء التي تضايق المتوحّدين بين شخص وآخر. ولا أدري كيف لنا أن نتعامل مع الأمر لو عجزنا عن صمّ آذاننا براحات أيدينا. وأنا أيضاً أصمّ أذنيّ أحياناً، ولو أنني صرّتُ، تدريجيّاً، أعتاد الضوضاء من خلال تقليل الضغط الشديد براحتي يديّ على أذنيّ شيئاً فشيئاً. وأظن أن بإمكان بعض الأشخاص تخطّي المشكلة بالتعوّد البطيء على الضوضاء. إلا أنّ الأهمّ هو أن نصل إلى الشعور بالأمان والسلامة حتى عندما نبتلى بالضوضاء.



السؤال الثامن والعشرون

لماذا تحرك ذراعيك وساقيك بهذه الطريقة الغريبة؟

يطلب إليّ المعلّم في صفّ الرياضة القيام بأمر مثل «ابسط ذراعيك!» و«اطوِ ركبتيك!» لكنني لا أعرف دومًا ما الذي تنوي ذراعي وساقي فعله. فأنا لا أملك إحساسًا واضحًا بالمكان الموصولة فيه ذراعي وساقي، أو كيف أجعلها تقوم بما أطلب إليها فعله، وكأن أطرافي أشبه بذيل مطّاطي لحرورية بحر.

أعتقد أن سبب محاولة بعض المتوحّدين التقاط غرض ما من خلال «استعارة» يد شخص آخر هو أنهم لا يستطيعون معرفة إلى أي مدى عليهم مدّ أيديهم لبلوغ هذا الغرض. كما أنهم ليسوا متأكّدين تمامًا من كيفية الإمساك بهذا الغرض، لأننا نعاني من تبيان المسافات وتقديرها. لكن باستطاعتنا التغلّب على هذه الصعوبة من خلال التمارين الدائمة.

والحق يقال، إنني ما زلت عاجزًا حتى عن إدراك أنني دُست على قدم أحدهم أو دفعتُ شخصًا بعيدًا عن دربي. ولا بدّ بالتالي من أن شيئًا مرتبطًا بإحساس اللمس عندي قد أسيء وصله هو الآخر.



السؤال التاسع والعشرون

لماذا تفعل أمورًا لا يفعلها الآخرون؟ هل تعمل أحاسيسك بطريقة مختلفة ما؟

«لماذا لا تتنعل حذاءك؟»، «لماذا لا ترتدي إلا أكمامًا نصفية؟» «لماذا تخلق دائماً شعر جسمك أو تنفّفه؟ ألا يؤمك ذلك؟». لا بدّ من أنكم تتساءلون عن السبب في كلّ مرّة يقوم فيها المتوحّدون بأمر لا يفعله الآخرون. هل للمتوحّدين حواسّ مختلفة؟ أو أن هذه الأفعال تعطينا نوعاً من الدفع وحسب؟

بالنسبة إليّ فإنّ الجوابين خطأ. ومرّد ذلك ربّما إلى أننا ندخل في حالة إذا لم نقم فيها بهذه الأفعال فسنتمزّق كليّاً. وإذا تحدّثت عن «الحواس التي تعمل في شكل مختلف» لدى المتوحّد، فيعني ذلك وجود قصور ما في الجهاز العصبي لهذا الشخص. لكنني أعتقد أن لا وجود لأي خطأ لدينا على المستوى العصبي. بل إن انفعالاتنا هي التي تتسبّب في الواقع بردود الفعل غير الطبيعية. فمن الطبيعي لأي شخص عالق في مكان سيئ أن يحاول الخروج منه، ويأسي هو الذي يدفعني إلى إساءة قراءة الرسائل التي توجهها إليّ حواسي. ولو أن انتباهي كلّه تركز على منطقة واحدة من جسمي، فالأمر

كما لو أن طاقة جسمي كلها تتركز في تلك المنطقة أيضًا، يحدث ذلك حين تؤشّر كلّ حواسي إلى أن خطبًا كبيرًا يوجد في تلك المنطقة.

لو أن شخصًا غير متوحّد مرّ بوقت عصيب، فسيمكنه مناقشته مع أحد ما، أو افتعال ضجّة في شأنه. لكن هذا في حالتنا ليس خيارًا - لا يمكن لنا أبدًا أن نجعل الآخرين يفهمونا. حتى ونحن في وسط نوبة الذعر لا يفهم الناس ما يحدث لنا، أو هم يطلبون إلينا الكفّ عن البكاء فحسب. وفي ظنّي أنّ اليأس يلازمنا، فيملأ كامل أجسامنا، ويجعل حواسنا أكثر وأكثر تشوّشًا.



السؤال الثالثون

لماذا أنت حسّاس أو غير حسّاس جدًّا للألم؟

يوجد بين بعض المتوحّدين من يثير جلبة عظيمة لدى قصّ شعره أو تقليم أظافره، رغم أنه لا يُفترض بذلك أبدًا أن يؤلم. ويوجد في الوقت نفسه أناس يحافظون على هدوئهم الشديد ورباطة جأشهم حتى عندما يصابون بجرح يتّضح أنه مؤلم.

لا أعتقد أن لذلك أي علاقة على الإطلاق بالأعصاب وبالنهايات العصبية، بل «بالألم الباطني» الذي يعبر عن نفسه من خلال الجسم. فعندما تأتي الذكريات إلى الناس بشكل مفاجئ يسترجعون المشهد - لكن الذكريات، في حالة المتوحّدين، ليست مخزّنة بترتيب واضح. فالذكريات السلبية، لدى من ينزعجون من بيننا عند قصّ شعرهم أو تقليم أظافره، ربما ترتبط بشكل ما بتلك العملية.

وربما قال الشخص الطبيعي، «لم يحب منذ صغره، قصّ شعره أو تقليم أظافره، وليست لدينا أي فكرة عن السبب». إلا أن المسألة هي أن ذاكرة المتوحّد لا تُشبه مقياسًا مرقّمًا تختار منه الذكرى التي تبحث عنها، بل هي

أشبه بأحجية الصورة حيث يكفي أن توضع قطعة واحدة فقط في غير مكانها الصحيح ليستحيل إنجاز الأحجية برمتها. والأكثر من ذلك أن بإمكان قطعة واحدة لا تنتمي إلى المجموعة أن تفسد أيضًا كل الذكريات المحيطة. وبالتالي، فإن الألم المادي ليس بالضرورة ما يجعلنا نبيكي، بل يُحتمل جدًا أن تكون الذاكرة هي السبب.

أما بالنسبة إلى الأشخاص الذين لا تظهر عليهم دلالات الألم، فإنني أفترض أنهم عاجزون عن إبقاء هذه الدلالات ظاهرة. وأعتقد أن من الصعب جدًا عليكم إدراك مقدار الصعوبة في التعبير عن مشاعرنا. وبالنسبة إلينا، فإن التعامل مع الألم وكأنه انقضى بالفعل هو في الواقع أسهل من ترك الآخرين يعرفون أننا نتألم.

يعتقد الناس العاديون أننا نعتد بدرجة كبيرة على الآخرين ولا يمكننا العيش من دون مساعدة مستمرة، لكن الواقع هو أن هناك أوقاتًا نكون فيها أبطالًا صبورين.



السؤال الواحد والثلاثون

لماذا أنت نيق جداً في شأن طعامك؟

صحيح أن بعض المتوحّدين يلتزمون حمية محدودة جداً. وأنا نفسي لا أعاني فعلاً من هذه المشكلة، لكنني أعتقد أن بإمكانني، إلى حدّ ما، فهم مصدرها. نقوم بهذه الوظيفة، التي تُدعى تناول الطعام، ثلاث مرّات في اليوم، لكن بالنسبة إلى بعض الأشخاص فإن اضطرارهم إلى تناول وجبة مختلفة في كلّ مرّة يمكن أن يزعجهم جداً. فلكلّ نوع من الطعام طعمه المميّز ولونه وشكله. وهذه الفوارق هي، في العادة، ما يجعل من تناول الطعام لذة. أما بالنسبة إلى بعض المتوحّدين، فوحدها الأطعمة التي في فكرهم، ما يحمل مذاقاً. وكلّ ما عدا ذلك يماثل في لذّته الألعاب البلاستيكية على هيئة الطعام التي ربما قدّمت لك وأنت ولد صغير في «حفلة شاي مزعومة».

لماذا إذاً يُقارب هؤلاء الأشخاص الطعام الجديد بهذه الطريقة؟ في وسعكم القول «لأن حاسة الذوق عندهم معطّلة» وينتهي الأمر. لكن ألا يسعكم أيضاً القول إنهم يحتاجون إلى وقت أكثر من الإنسان العادي لتقدير أنواع غير معروفة من الطعام؟ وحتى لو رضوا فقط بالأطعمة التي اعتادوا

تناولها. فوجبات الطعام، برأبي، ليست فقط للتغذية، بل للعثور على الفرح في الحياة. فالأكل يعني الحياة، ويجب قطعاً، وشيئاً فشيئاً، حتّ متناولي الطعام النّيّقين على تجربة أنواع مختلفة منه. ذلك ما أعتقده، على أي حال.



السؤال الثاني والثلاثون

عندما تنظر إلى شيء ما، ما الذي تراه أولاً؟

إدًا كيف يرى المتوحدون العالم، بالتحديد؟ نحن، ونحن فقط، من نملك إجابة عن هذا السؤال! أشفق أحيانًا عليكم لعدم قدرتكم على رؤية جمال العالم بالطريقة التي نراه فيها نحن. إذ يمكن حقًا لرؤيتنا للعالم أن تكون مدهشة، مدهشة فحسب...

وقد تجيبون، «لكن العين التي نستخدمها جميعنا لرؤية الأشياء تعمل بالطريقة نفسها، أليس كذلك؟». صحيح، فأنتم قد تنظرون تمامًا إلى الشيء نفسه الذي ننظر نحن إليه، لكن الطريقة التي نلاحظ فيها الأشياء تبدو مختلفة. وعندما ننظرون إلى شيء ما، يبدو أنكم ترونه كشيء بأكمله، ولا تأتي التفاصيل إلا بعد ذلك. لكن التفاصيل، تطلّ علينا أولاً نحن المتوحدين، ومن ثم تبدو الصورة بأكملها وكأنها تعوم بالتدرّج، تفصيلًا وراء تفصيل، إلى أن تتضح. ويتوقّف الجزء الأول من الصورة الكاملة الذي يأسر نظرنا في البداية على عدد من الأمور. فعندما يكون اللون فاقعًا أو الشكل لافتًا للنظر، يصبح

هو التفصيل الذي يستحوذ على انتباهي، ومن ثمَّ يغرق قلبي فيه، ولا يعود في وسعي التركيز على أي شيء آخر.

لكلِّ شيء جماله الفريد الخاص. ويثمن كلُّ متوحِّد هذا الجمال كما لو أنه نعمة وُهبَت لنا. فأينما ذهبنا ومهما فعلنا لا يمكننا أبدًا أن نكون وحيدين بالكامل. وقد نبدو كأننا لسنا مع أحد، لكننا دومًا برفقة أصدقاء.



السؤال الثالث والثلاثون

هل يصعب عليك اختيار الملابس الملائمة؟

سواء كان الطقس حارًا أو باردًا، أواجه دائمًا صعوبة في اختيار الملابس الملائمة، وكذلك في ارتداء طبقات إضافية منها أو نزعها بحسب الحاجة. والواقع أن بعض المتوحّدين يواصلون، على مدار السنة، ارتداء النوع نفسه من الملابس. فما القصة هنا؟ ما هي تلك الصعوبة الكبرى في ارتداء الملابس أو خلعها بحسب الحاجة؟

وأني لي أن أعرف! قد يكون الحرّ خانقًا، ونعرف أنه حرّ خانق، لكن ببساطة قد لا يخطر على بال المتوحّد أن انتزاع طبقة من الملابس فكرة جيّدة. وليس الأمر أننا لا ندرك المنطق في ذلك - بل أننا بطريقة ما ننسى. ننسى ما الذي نرتديه وكيف نبردّ أنفسنا.

ويمكنني، على الأقل، مسح العرق عن وجهي بمنديلي - تعودت القيام بذلك الآن - لكن تكييف ملابسي مسألة جسيمة لأن الوضع يتغيّر كثيرًا. ولهذا فأنا أتعاطف مع أولئك المتوحّدين الذين يفضّلون ارتداء الثياب نفسها يوميًا بعد يوم. فالملابس أشبه بامتداد لأجسامنا، بطبقة خارجية من الجلد، ولهذا

يجد جماعة «يومًا بعد يوم» أن من المطمئن التمسك بالملابس نفسها. نشعر
بأننا مجبرون على القيام بكل ما في وسعنا لحماية أنفسنا من عدم اليقين،
ويشكّل ارتداء الملابس المريحة التي نحبّها إحدى الوسائل لذلك.



السؤال الرابع والثلاثون

هل لديك إدراك للزمن؟

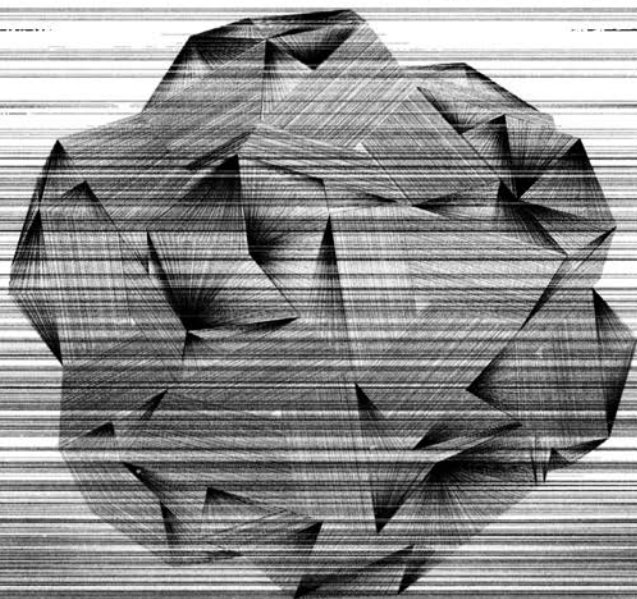
الوقت أمر متواصل لا حدود واضحة له، ولهذا فهو يُربك المتوحّدين جدًّا. قد تحارون في السبب الذي يجعل من الصعب علينا أن نقيس الفترات الزمنية وسرعة الوقت، ولماذا يبدو الوقت أمرًا مِلصًا إلى هذا الحدّ بالنسبة إلينا.

إن استيعاب الوقت في نظرنا مسألة صعبة صعوبة تصوّر بلاد لم نزرها قط. ولا يسعكم التقاط مرور الوقت على قصاصة من الورق. وربما تُظهر عقارب الساعة مرور بعض الوقت، لكن واقع أننا لا نستطيع الشعور به يصيبنا حقًا بالتوتر.

كوني متوحّدًا، أعرف كل ما يتعلّق بهذا الأمر وأشعر به بنفسِي. إنه لأمر مرعب، صدّقوني. ونحن نقلق في شأن الحالة التي سنصبح عليها في مرحلة مستقبلية، ونوعية المشكلات التي سنثيرها. والأشخاص الذين يمتلكون سيطرة سهلة على أنفسهم وعلى أجسامهم لا يختبرون أبدًا هذا الخوف.

والثانية الواحدة، بالنسبة إلينا، طويلة بلا نهاية - مع أن الساعات الأربع والعشرين قد تمرّ بنا مندفعة كالبرق. ولا يمكن أن يستقرّ الوقت في ذاكرتنا

إلا في شكل مَشاهد مرئية. ولهذا السبب لا يوجد عندنا فارق كبير بين الثانية
الواحدة والأربع والعشرين ساعة. فما تخبئه لنا اللحظة التالية بالضبط
يشكّل قلقًا، قلقًا كبيرًا جدًا.





السؤال الخامس والثلاثون

لماذا أنماط نومك غير منتظمة هكذا؟

يجد عدد كبير من المتوحّدين صعوبة في النوم ليلاً. ومَرّت عليّ، وأنا صغير، أوقات لم أتمكن فيها من الإغفاء، حتى بعدما يتأخّر الوقت كثيراً. ويبدو ذلك غريباً لأننا نحن البشر لسنا بالكائنات الليلية، أليس كذلك؟ لكنني نادراً ما أواجه هذه المشكلة الآن. وربما الزمن، ببساطة، هو العلاج. وربما بدا الأشخاص العاجزون عن النوم بخير ظاهرياً، فيما هم يعانون من الإنهاك في الباطن.

لا أدري فعلاً ما الذي يتسبّب بالاضطراب في النوم، ولذا فإنّ جلّ ما أطلبه منكم، راجياً، هو ألا توبّخوا أطفالكم المتوحّدين إذا لم يخلدوا إلى النوم في ساعة مبكرة - حتى ولو استمرّ ذلك ليلةً تلوَ الليلة تلوَ الليلة.

صيف لا ينتهي

قد يتملك الضجر والتمللمل المتوحّدين كل الوقت إلى درجة يكاد الأمر معها يبدو مضحكًا. الأمر بالنسبة إلينا أشبه بصيف مستمرّ على مدار السنة. ويبدو معظم الناس في حال كبيرة من الاسترخاء عندما لا يفعلون شيئًا بالتحديد، لكننا ننطلق دومًا مسرعين بجنون كولد تأخر على المدرسة. ونحن كزيز الحصاد سنفوت فصل الصيف إذا لم نهرع، هيّا، هيّا. إزززز، إزززز، كريك-كريك، كريك-كريك... نصرخ ملء حناجرنا، ونصيح بأعلى أصواتنا ولا نستكين أبدًا في معركتنا ضد الوقت.

ومع حلول الخريف قرابة نهاية السنة، تنتهي حياة زيز الحصاد. ويبقى للكائنات البشرية مقدار وافٍ من الوقت، لكننا نحن المتوحّدين، شبه المنفصلين عن سياق الزمن، نستمر في القلق الدائم منذ الشروق وحتى المغيب. وكالزيز تمامًا، نصرخ ونصيح.



السؤال السادس والثلاثون

لماذا تهوى الدوران؟

غالبًا ما نستمتع، نحن المتوحّدين، بالدوران حول أنفسنا، فندور، وندور. نحب أن نجعل كل غرض في متناول أيدينا يدور. هل يمكنكم أن تدركوا ما المتعة الكبرى في الدوران؟

المشهد اليومي لا يدور، وبالتالي فإن الأشياء التي تدور تسحرنا. ومجرّد مشاهدة أشياء تدور تجعلنا نمتلئ بنوع من الغبطة الدائمة - وهي، في الوقت الذي نجلس ونشاهدها، تدور بانتظام تام. ويصحّ ذلك دائماً على كل ما نجعله يدور. فالأمور التي لا تتغيّر مريحة، ويوجد ما هو جميل في ذلك.



السؤال السابع والثلاثون

لماذا ترفرف بأصابعك وبإيديك قبالة وجهك؟

عندما ترفرف بأصابعنا وبأيدينا أمام وجوهنا يدخل الضوء أعيننا بطريقة لطيفة ومصفاة. فالضوء الذي يبلغنا بهذه الطريقة يبدو ناعماً ولطيفاً كضوء القمر. لكن الضوء المباشر «غير المصفى» يشق طريقه كالإبر إلى حدقة عين المتوحد بخطوط مستقيمة حادة بحيث نرى نقاط ضوء جمّة. وهذا في الحقيقة يؤلم أعيننا.

لكن لا يسعنا الاستغناء عن الضوء. فالضوء يمسخ دموعنا، ونسعد عندما يغمرنا. نحن ربما نحب كيف تنهمر جزئياته علينا. فجزئيات الضوء تواسينا بطريقة ما. وأعترف أنه أمر لا يمكنني شرحه تماماً باستخدام المنطق.



السؤال الثامن والثلاثون

لماذا تصف ألعابك من سيارات ومكعبات؟

رَصفُ الأشياء أكثر الأمور مرحًا. كما أن مشاهدة المياه الجارية متعة كبيرة هي الأخرى. ويبدو أن الأولاد الآخرين يستمتعون بالألعاب التي يتم فيها تقمص الأدوار والتظاهر، لكنني، بوصفي شخصًا متوحّدًا، لا أفهم حقًا الغاية منها.

ما أهتمّ به - ويستحوذ في الواقع على تفكيري - هو الترتيب الذي تأتي به الأشياء، والطرق المختلفة لاصطفافها. ونحن في الحقيقة نحب خطوط الأشياء وأسطحها مثل الأحاجي أو ما يشابهها. ونشعر، عندما نلعب بهذه الطريقة، بأن دماغنا ينتعش ويصفو.



السؤال التاسع والثلاثون

لماذا تحب أن تكون في المياه؟

نريد فحسب العودة إلى الوراء، إلى الماضي البعيد البعيد. أن نعود إلى الحقبة البدائية التي تسبق حتى وجود الكائنات البشرية. وأعتقد أن لجميع المتوحّدين الشعور نفسه في هذا الشأن. فقد تكوّنت أشكال الحياة المائية وتطوّرت، لكن لماذا توجّب إذًا أن تظهر في اليابسة وتحوّل إلى كائنات بشريّة اختارت عندها أن تعيش حياة يحكمها الوقت؟ إنها ألغاز حقيقية بالنسبة إليّ.

ففي المياه هدوء كبير، وأشعر فيها بكثير من الحرّيّة والسعادة. لا أحد يضايقنا في المياه، كما لو أنا نملك كلّ ما في العالم من وقت. وسواء بقينا في مكان واحد أو سبحنا، فبإمكاننا ونحن في الماء أن نتحد مع نبض الوقت. ففي خارج الماء، أمورٌ كثير تحفّز أعيننا وآذاننا، ويستحيل علينا التكهّن بطول الثانية أو بالوقت الذي تستغرقه الساعة.

لا يتمتّع المتوحّدون بالحرّيّة. والسبب في ذلك هو أننا نوع مختلف من البشر وُلدنا بحواس بدائية. ونحن خارج الانسياب الطبيعي للوقت، لا نستطيع التعبير عن أنفسنا، وأجسامنا تتقاذفنا بسرعة عبر الحياة. لو تمكّنا

فقط من العودة إلى ذلك الماضي المائي البعيد، البعيد - فسنتمكّن جميعنا
عندها من العيش بالقدر نفسه من الرضى والحرية الذي تتمتعون به يا
ناس!



السؤال الأربعون

هل تحب الإعلانات التلفزيونية؟

هذا سؤال صعب، وأنا غير متأكد من الإجابة. إن ظننتم أننا نحب الإعلانات التلفزيونية لأن الشعارات والجمل الشهيرة تنساب بسلاسة على ألسنتنا فحسب، تكونون قد كوّنتم صورة مجتزأة عن الموضوع. فنحن نتذكرها بسهولة لأنها تُعرض بشكل متكرر، ونهرع بالطبع إلى التلفاز في كل مرة يُعرض فيها إعلان مألوف، لأننا نستمتع بمشاهدة الإعلانات التي نعرفها جيّدًا. فكيف تكونون، أنتم غير المتوحّدين، على قدر أقل من الحماسة للإعلانات التلفزيونية؟ فهي في النهاية تُبثّ مرارًا وتكرارًا. أوليست مشاهدتها أشبه بزيارة يقوم بها أصدقاء قدامى وأعرّاء على قلوبكم؟

لستُ من كبار المعجبين بالإعلانات التلفزيونية بذاتها، لكن ما إن يأتي إعلان مألوف حتى أتحمّس كثيرًا في شأنه. هذا لأنني أعرف حقّ المعرفة المقصود من تلك الإعلانات، وأشعر بنوع من السكون لإدراكي أنها لا تدوم طويلًا. ولا بدّ أن السبب الذي يجعلنا نبدو في أعينكم سعداء ونحن نشاهد الإعلانات التلفزيونية هو أننا في كلّ الأوقات الأخرى أقل

استقرارًا وهدوءًا، ووجهنا أقلّ تعبيرًا. ربّما يكون ما تتلقّونه عندما
تنظرون إلينا ونحن نشاهد الإعلانات على التلفاز لمحّة موجزة عن ذواتنا
الحقيقية.



السؤال الواحد والأربعون

ما أنواع البرامج التلفزيونية التي تستمتع بها؟

لا أزال، حتى في عمري هذا، أستمتع ببرامج الأطفال التلفزيونية، وبمشاهدتها مع أمي. ولا بدّ أنكم، وأنتم تقرأون ذلك، تفكّرون، «هذا الفتى ليس في النهاية إلا طفلاً كبيراً!» لكن هذه، برأيي المتواضع، ليست الحال. من المؤكد أننا قد نبدو أشبه بالأطفال بسبب شغفنا بالأمر اللطيفة، الرقيقة والجميلة، لكننا نميل إلى تفضيل القصص الأكثر بساطة ووضوحاً، ليس بسبب سلوكنا الطفولي، بل لأن في إمكاننا أن نتكهّن بسهولة أكبر بما سيحصل تالياً. وهذا ما يسمح لنا أن نكون أكثر سكوتاً وانخراطاً. ثم إن القصص الأبسط تتّجه إلى التكرّر، وهكذا يمكننا، عندما نبلغ مشهداً مألوفاً، أن نتحمّس ونثير هرجاً ومرجاً فرحين.

يستمتع المتوحدون إلى حدّ كبير بالتكرار. ولو سئلتُ عن السبب فسأجيب بالتالي: «ألا ترتاحون، وأنتم في مكان جديد غريب، لمصادفة وجه أليف ودود؟».

ما لا نفعله وحسب هو النزاعات والمساومات أو انتقاد الآخرين. إذ لا حيلة لنا على الإطلاق في مثل هذه السيناريوهات.



قصة سمعتها في مكان ما

كانت مرّة فتاة تهوى الرقص وترتدي حذاءً أحمر. ظنّ كلّ من رآها أنها ستستمرّ في الرقص إلى يوم مماتها، ومن يدري، فرمها فكّرت الفتاة نفسها بالأمر ذاته.

وفي إحدى الليالي، وبعدما غطّ العالم بأسره في سباته، شرعت ترقص:

قالت: استدارة والتفافة وضميرة متراقصة

وثبة - وثبة - وثبٌ - وثبٌ - وثبٌ

نقرة - نقرة - نقرٌ - نقرٌ - نقرٌ

ترا - لا - دي - دا وليم تام تام

عاشت الفتاة حالة من النعيم. يا لسمو الرقص! انقضى أسبوع بكامله على هذا المنوال. ثم تساءلت: إلى متى سأتمكّن من فعل هذا؟ فقد كادت عند هذا الحدّ تموت واقفةً على قدميها، غير أن كلّ ما تمنّته هو الاستمرار في الرقص، والرقص، والرقص.

ثمّ، وفي اليوم الثامن، ظهر ذلك الشاب الوسيم. وقال لها، «أترغبين

في الرقص معي؟» عند ذاك توقفت الفتاة عن الرقص. وقالت، «شكرًا، لا، فقد اكتشفتُ للتو أمرًا أكثر قيمة من الرقص». وعاشا بعدها في منزل صغير سعيدين إلى الأبد.



السؤال الثاني والأربعون

لِمَ تحفظ جداول مواعيد القطارات والرزنامات؟

لأن ذلك ممتع! فالأرقام تُشعرنا، نحن المتوحّدين، بسعادة حقيقية. الأرقام ثوابت لا تتغيّر. فالعدد ١ على سبيل المثال يبقى دائماً وأبداً العدد ١. وتلك البساطة وذلك الوضوح يجعلنا نشعر بارتياح كبير.

يبقى أي جدول مواعيد أو رزنامة هو نفسه دائماً وأبداً بالنسبة إلى من يقرأه. ويمكن فهم كل ذلك بسهولة باتّباع المجموعة نفسها من القواعد. وعندما تتعلّق المسألة بالأمر المفضّلة لدينا يمكن لنا أن نحفظها غيباً بسهولة كما لو أنها تقفز مباشرة إلى داخل رؤوسنا. لكن يصعب علينا، نحن المتوحّدين، أن نفهم الأمور غير المرئية مثل العلاقات الإنسانية والتعبير المبهمة.

قد تعتقدون أن كتابة هذه الجمل لا تتطلب منّي جهداً كبيراً، لكن ذلك ليس صحيحاً على الإطلاق. إذ يتربّص في خلفية ذهني دوماً قلقٌ متمثّل في ما إذا كنتُ أدرك، أو لا، الأمور بالطريقة نفسها التي يدركها بها غير المتوحّدين.

ولذا فإنني، من خلال التلفاز والكتب، وبالتناغم فحسب مع الناس من حولي، أتعلّم بشكل دائم كيف يُفترض بالأشخاص العاديين أن يشعروا في وضع ما. وكلّما تعلّمتُ شيئاً جديداً أكتب قصة قصيرة تتعامل مع الوضع المطروح. وبهذه الطريقة، مقرونة مع الحظ، لا تغيب الأمور عن ذهني.



السؤال الثالث والأربعون

هل تنفر من القراءة ومن تفكيك الجمل الطويلة؟

كلاً، أنا لا أنفر من الجمل الطويلة. وبغض النظر عن أي أمر آخر، لديّ نهم في معرفة مختلف الأمور. ويحبطني فعلاً أن الناس لا يدركون ذلك. وليست المشكلة في أنني أنفر من الجمل الطويلة، بل هي في أن صبري ينفد سريعاً جداً، فأتعب في فترة قصيرة ويضيع عليّ كلياً مغزى الجملة. أستطيع قراءة كتب مصوّرة من دون عناء كبير، ولذا أميل، وأنا وحدي، إلى اختيار أحدها. فهي سهلة المتابعة وتحفز مخيلتي، ولا تضجرتني أبداً.

أريد أن أكبر وأنا أتعلّم ملايين الأشياء! ولا بدّ أن هناك عدداً لا يُحصى من المتوحّدين الذين تتملّكهم الرغبة نفسها، والوضعية نفسها. لكن مشكلتنا تتمثّل في أننا غير قادرين على دراسة كلّ شيء بأنفسنا. ولنتمكّن من الدراسة كالأخرين، نحتاج إلى مزيد من الوقت وإلى استراتيجيات ومقاربات مختلفة. أما بالنسبة إلى الأشخاص الذين يساعدوننا على الدراسة، فإنهم يحتاجون في الواقع إلى الصبر أكثر منّا. عليهم أن يفهموا توقنا إلى العلم، حتى ولو لم يبدؤوا في الظاهر أننا تلامذة متوقّدو الذهن، إلا أننا كذلك. نحن أيضاً نريد أن نكبر.



السؤال الرابع والأربعون

ما رأيك في سباقات الركض؟

لا أكره السباق، لكنني في اللحظة التي أعي فيها الحاجة إلى الركض سريعاً أكتشف أنني لا أستطيع ذلك. ولو ركضتُ مع أصدقائي لمجرد المتعة، أكتشف أن بإمكانني الركض بقدر ما أشاء - كما لو أنني أتصاحب مع الريح. ويقول الناس أحياناً إنني أجيد الهرب، لكن ذلك لا يحصل إلا عندما يطاردني أحد. وعندما يكاد المطارد يمسك بي أجد الأمر ممتعاً ومخيفاً معاً. وهو ما يحفزني على الانطلاق بمزيد من السرعة، فأندفع.

ولا علاقة للأعصاب بعجزني عن الركض جيداً عندما أحتاج إلى ذلك. بل تكمن مشكلتي في أنني ما إن أحاول الركض بسرعة حتى أشرع في التفكير في كيفية تحريك ذراعيّ وساقيّ، وعندها يتجمد جسمي كله. والسبب الآخر في أنني لا أبطي حسناً في السباقات هو أنني لا أشعر حقاً بأي متعة في التغلب على غيري. وأوافق أن من الصحيح والمناسب أن تبذل أفضل ما في وسعك في السباق، أما هذه الرغبة في التغلب على كل من عداك فمسألة مختلفة تماماً. وهكذا، في المناسبات التنافسية مثل أيام الرياضة المدرسية، يستولي عليّ السرور الذي أشعر به لمجرد وجودي هناك، وينتهي بي الأمر مشاركاً في السباق بإلحاح من يشق طريقه قفزاً فوق العشب الأخضر.



السؤال الخامس والأربعون

لماذا تستمتع إلى هذا الحد بالخروج للمشي؟

أفترض أن الكثيرين من المتوحّدين يحبّون المشي، وأتساءل إذا كان في إمكانكم تفسير السبب. «ألأن المشي يُشعرك بحال أفضل؟»، «هل السبب أن من الرائع الخروج في الهواء الطلق؟». كِلا الجوابين صحيح، بالطبع. لكن السبب الأساسي، في رأيي، يتمثّل في أن المتوحّدين يحبّون خضرة الطبيعة. وربما تفكّر الآن، «أهذا كلّ ما في الأمر؟». إلا أن ولعنا بالطبيعة يختلف بعض الشيء عن ولع الآخرين. أفترض أن ما يثير عواطفكم في الطبيعة هو جمال الشجر والأزهار والأشياء. لكن الطبيعة، بالنسبة إلينا نحن ذوي الحاجات الخاصة، مهمّة لنا كحياتنا. والسبب أننا عندما ننظر إليها نحصل على نوع من الإذن بالوجود على قيد الحياة في هذا العالم، ويُعاد شحن جسمنا بكامله. ومهما تجاهلنا الآخرون أو دفعونا عنهم، فإن الطبيعة تحتضننا احتضاناً طيباً كبيراً، هنا في داخل قلوبنا.

وخضرة الطبيعة هي حياة النباتات والأشجار. فالأخضر حياة. وهذا هو السبب في خروجنا للمشي.



السؤال السادس والأربعون

هل تستمتع بوقت فراغك؟

ما الذي تفعله أنت، إذًا، في وقت فراغك؟ لأن وقت الفراغ بالنسبة إلى المتوحّدين ليس وقتًا فارغًا. وربما قال لنا قائل، «والآن تستطيعون فعل ما ترغبون في فعله». لكن الواقع يختلف عن ذلك لأننا نعاني صعوبة كبيرة في إيجاد أمر نشعر بالرغبة فيه. وإذا صودف أن وجدنا بعض الدمى أو الكتب التي نلعب بها دائمًا أو نقرأها، فسنلتقطها بالتأكيد. ولا يتعلّق الأمر، مع ذلك، بما نريد القيام به بقدر ما يتعلّق بما يمكن لنا فعله. فاللعب بأغراض نألّفها مريح لأننا نعرف ما الذي نفعله بها، وعندها يفترض الأشخاص الذين يراقبوننا أن: هذا ما يحبّ القيام به في وقت فراغه... إلا أن ما أرغب في القيام به حقًا هو أن أغرق في كتاب صعب أو في نقاش مسألة أو فعل أمر آخر.

يُساء فهمنا. ونحن مستعدّون لفعل أي شيء لو فهمنا الآخرون كما يجب. وسيعاني المتوحّدون من الانهيارات - طوال الوقت - جرّاء هذا لولا أننا نسيطر على أنفسنا تمامًا. نرجوكم أن تفهموا ما حقيقتنا وما نكابده.



السؤال السابع والأربعون

هل يمكنك أن تعطينا مثالاً عن شيء يستمتع به المتوحدون فعلاً؟

نستمتع بأمر واحد يُحتمل ألاّ تتمكّنوا من تخمينه، وهو التصادق مع الطبيعة. ويكمن سبب عدم إتقاننا مهارات الناس بشكل جيد في أننا نبالغ في التفكير بالانطباع الذي نعطيه للآخر، أو كيف ينبغي أن نردّ على هذا أو ذاك. لكن الطبيعة موجودة دومًا في متناولنا لتلقّفنا بلطف: متوقّدة، متمائلة، دافقة، هامسة.

أشعر، بمجرد النظر إلى الطبيعة، بأنها تبتلعني، وأحسُّ في تلك اللحظة بأن جسمي أضحي ذرّة، ذرّة وجدت قبل ولادتي بكثير، ذرّة تذيب الطبيعة نفسها. وهذا الشعور مدهش إلى درجة أنسى معها أنني إنسان، وأني ذو حاجات خاصة يتوجّب تحفيزه.

تهدّئني الطبيعة عندما ينتابني الغضب الشديد، وتضحك معي عندما أكون فرحًا. ربما تعتقدون أن ليس بإمكان الطبيعة أن تكون صديقًا، ليس حقًا. لكن الكائنات البشرية هي أيضًا جزء من مملكة الحيوان، وربما لا

يزال لدينا، نحن المتوحّدين، بقية من إدراك لذلك، مدفونة في مكان ما في عمق أعماقنا. ولا أزال أتمنّ ذلك الجزء منّي الذي ينظر إلى الطبيعة بوصفها صديقاً.

تمثال بوذا العظيم

هل حدث أن رأيتم، وأنتم في أحد أسفاركم، أحدًا ينفجر بالبكاء من دون سبب ظاهر؟ يوجد، حقًا، سبب لذلك، إلا أن الباكي يعجز عن إخباركم به. ربّما يبكي فرحًا، لكنّه احتمال قد لا يخطر لكم أبدًا.

والواقع أن الشيء نفسه يحصل لي إلى حدّ كبير. كنتُ ذات يوم في زيارة لمدينة تدعى كاماكورا حيث يوجد ذلك التمثال الضخم لبوذا. ولمّا شاهدته، تأثرت جدًّا فشرعتُ في البكاء. لم يكن الأمر متعلقًا بوقار بوذا فحسب، بل لأنني شعرتُ بثقل التاريخ وأجيال من آمال الناس وصلواتهم وأفكارهم، ولم أستطع منع نفسي من البكاء. كما لو أن بوذا نفسه يقول لي، «لجميع الكائنات البشرية مشقّاتهم التي عليهم تحمّلها، فلا تنحرف أبدًا عن المسار الذي تسلكه».

لكل منا قلب يتأثر بشيء ما. ولا يتعلّق البكاء بالضرورة بالحزن أو الانهيار أو الاستياء. خذوا ذلك في اعتباركم، لو سمحتم.



السؤال الثامن والأربعون

لماذا تهرب دومًا إلى مكان ما؟

يترجّح ذهني في شكل دائم، في هذا الاتجاه وذاك. ليس لأنني أريد المضي والهرب، لكنني لا أستطيع الامتناع عن الاندفاع مسرعًا إلى أي مكان يقع تحت نظري. وهذا يضايقني أيضًا، لأن الناس يوبّخونني دومًا في شأنه. لكنني لا أعرف كيفية الكفّ عنه.

وأنا، بالتالي، لا أقوم بكلّ هذا التنقل لأنه يرضيني - إذ ليس له حتى كلّ هذا التأثير المهدئ. يبدو الأمر وكأنني انتقلتُ عن بعد من مكان إلى آخر من دون أن أعرف أن ذلك يحصل. وحتى لو حاول أحدهم منعي، أو وقّف أيّ شيء آخر حائلًا في طريقي، فإنه مع ذلك يحصل، كما لو أنني أفقد السيطرة على نفسي لبعض الوقت.

فما هي إذًا خطتي الأساسية لحلّ هذه المشكلة؟ أنا في معركة دائمة مع هذه النزوة التي تدفعني إلى الهرب، وأعتقد أنني صرتُ تدريجيًا أكثر سيطرة عليها مما كنت سابقًا. لكنني لم أجد بعد طريقة فاعلة حقًا لحلّ هذه المشكلة. الهرولة والمشّي، أقلّه، ينعشان جسمي، وما إن أنتعش حتى أشعر بأنني عدتُ إلى ذاتي. وأستعيدُ أيضًا إحساسي بالجابدية، وهو ما يهدّئني.



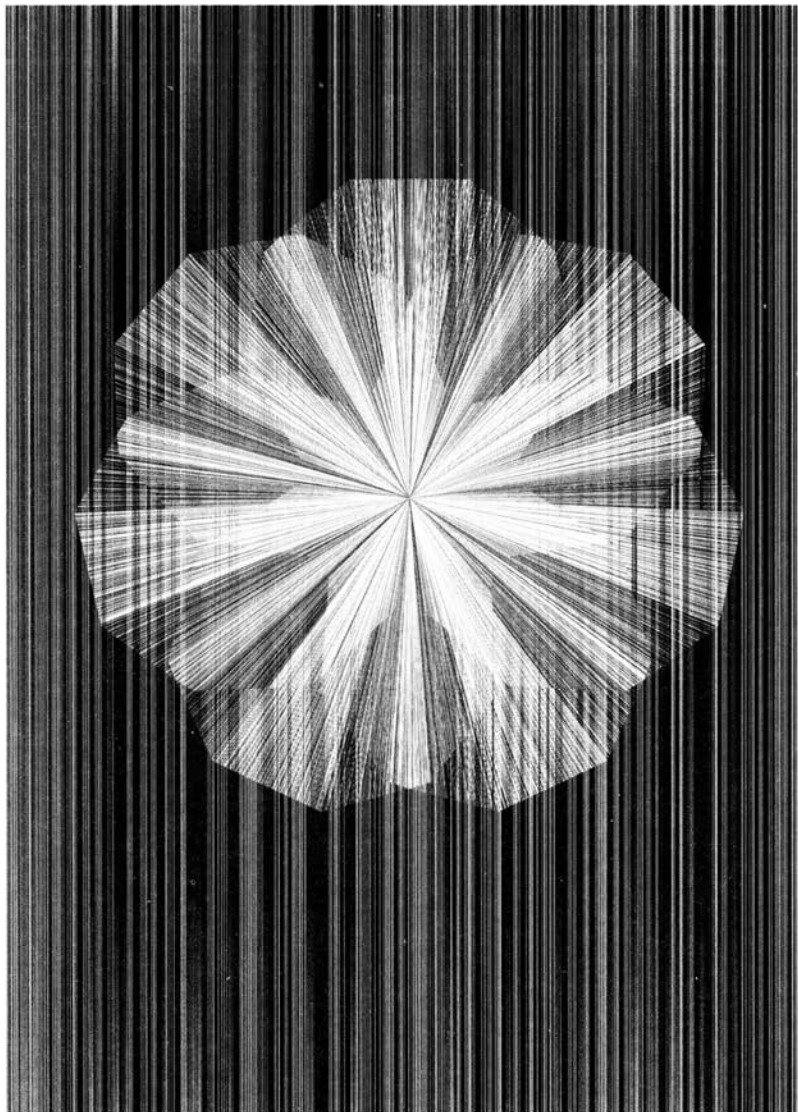
السؤال التاسع والأربعون

لماذا تهيم معظم الأحيان؟

سبق أن أشرتُ إلى كيفية اندفاعي مبتعدًا ما إن يقع نظري على شيء مثير للاهتمام. إلا أن هناك سببًا آخر لهيامنا في كثير من الأحيان، وأعتقد أنه التالي: لا نعرف في الحقيقة أين يجب علينا أن نكون. يمكن لكم إعلامنا بأن علينا أن نتبع شخصًا آخر، أو أن نمسك بيده، لكن الواقع هو أننا، بإيحاءكم أو من دونه، سنبقى نهيم.

ببساطة، فإن المتوحدين لا يشعرون أبدًا، بتاتًا، بالراحة أينما كانوا. ونحن لهذا السبب نتسكع مبتعدين - أو نهرب - بحثًا عن حيِّز ما نشعر فيه بالراحة. ولا يخطر لنا أبدًا، ونحن في هذا البحث، التفكير كيف سينتهي بنا المسار أو أين. يبتلعنا وهمٌ وهو أننا ما لم نتمكّن من إيجاد مكان في العالم ننتمي إليه، فسنبقى وحيدين تمامًا فيه. ثم نتوه في النهاية ويواكبنا أحدهم عائدين إلى المكان الذي كنّا فيه أو الشخص الذي كنّا معه من قبل.

لكن شعورنا القلق والمضطرب يلازمنا. ولا أعتقد، على أي حال، أننا سنتمكّن أبدًا من بلوغ فردوسنا الخاص. وأنا أعرف أنه غير موجود إلا في أعماق الغابة أو في قعر البحر الأزرق العميق.





السؤال الخمسون

لماذا تشرّد من المنزل؟

شردتُ مرّة، وأنا طفل صغير في روضة الأطفال، من المنزل إلى أن وجدتني الشرطة. وفي الواقع اعتدتُ في ذلك الحين الخروج من المنزل بشكل شبه منتظم، أستطيع، لدى العودة بالذاكرة، التفكير في عدّة أسباب لذلك. لم أرد الخروج لغاية محدّدة، مثل الرغبة في تنشقّ الهواء المنعش. بل - ويصعب التعبير عن ذلك بالكلام - إن جسمي تحرك لأن هناك ما قد استدرجه إلى الخارج.

لم أشعر وأنا أسير مبتعدًا عن المنزل بأي خوف أو قلق. الأمر وما فيه أنني: إذا لم أخرج فلن أكون موجودًا. لماذا؟ لا أدري، لكن كان عليّ الاستمرار في السير، والاستمرار، والاستمرار، والاستمرار. العودة أدراجي ممنوعة، لأن الطرق لا تبلغ نهاياتها أبدًا. الطرق تتحدّث إلينا، نحن المتوحّدين، وتدعونا إلى التقدّم. أعرف أن ذلك يخلو نوعًا ما من المنطق. ونحن لا نعرف ما الذي فعلناه إلا عندما يعيدنا أحدهم إلى المنزل، فنصاب عندها بالذهول شأننا شأن الآخرين.

توقفتُ عن الشرود خارج المنزل في اليوم الذي كادت تدهسني فيه إحدى السيارات، لأن الخوف الذي اجتاحني من جرّاء ذلك، كان له وقعٌ كبيرٌ على ذاكرتي. وأعتقد، بالتالي، أننا سنتمكّن من كبح عادة التشرّد بعدما يحصل لنا أمر على قدر كبير من الشدّة. ونرجوكم، في غضون ذلك، أن تنتبهوا لنا.

مكتبة
t.me/soramnqraa



السؤال الواحد والخمسون

لماذا تكرر أفعالاً معينة المرّة تلو المرّة؟

لا يكرّر المتوحّدون الأفعال ذاتها لمجرّد أنهم يستمتعون بذلك. فيمكن لبعض الناس أن يُصدّموا وهم يراقبوننا، كما لو أنهم ينظرون إلى مَنْ بهم مَسٌّ. ومن الطبيعي أنه يستحيل عليكم، مهما أحببتم القيام بأمر من الأمور، مواصلة ذلك بالقدر نفسه من التكرار الذي نفعله نحن، أليس كذلك؟ لكن التكرار لا ينتج عن إرادتنا الحرّة. بل يبدو وكأن دماغنا يواصل إصدار الأمر نفسه، المرّة تلو المرّة. إلى أن نتوصّل، ونحن نكرّر الفعل نفسه، إلى الشعور بالارتياح الفعلي والعزاء الذي لا يُعقل.

من وجهة نظري، أحسد الأشخاص الذين يستطيعون إدراك ما يقوله ذهنهم ويمتلكون قدرة التصرف على هذا الأساس. ودماغي يُرسلني دوماً في مهمّات صغيرة، بغضّ النظر عمّا إذا أردت القيام بها، أو لم أُرِد. وسيكون عليّ عندها، إذا لم أُطع، أن أحارب الشعور بالهلع. كما لو أن هناك، فعلاً، ما يدفعني إلى حافة جحيم.

فالعيش، في حدّ ذاته، معركةٌ بالنسبة إلى المتوحّدين.



السؤال الثاني والخمسون

لماذا لا تقوم بما عليك القيام به، حتى عندما يُطلب إليك ذلك ملايين المرات؟

نحن الأولاد المتوحدين، نقوم مرارًا وتكرارًا بما لا يُفترض بنا القيام به، بغض النظر عن عدد المرات التي طلبتم إلينا فيها ألا نفعل. نفهم جيدًا ما تقولونه لنا، لكننا، وبطريقة ما، نكرّر التسلسل. ويحصل ذلك معي أيضًا، وقد فكرت في كيفية انطباع هذا التسلسل. أقوم في البداية بتصرّف أو بأخر لا يُسمح لي القيام به؛ ثم يُنتج ذلك أمرًا آخر؛ وفي النهاية يتغلب حافز إعادة إحياء ذلك التسلسل على معرفتي بأنني نُهيت عنه مجددًا. وما يحصل تاليًا بحسب معرفتي، هو أنني أشعر بنوع من الأزيز الكهربائي، الممتع جدًا، في دماغي - وهو إحساس لا مثيل له. وربما أمكن تشبيه ذلك بمتابعة مشهرك المفضّل من فيلم على القرص المدمج يتكرّر تلقائيًا المرّة تلو المرّة بفعل الإرجاع التلقائي.

ويبقى علينا مع ذلك الامتناع عمّا لا يجب علينا فعله. كيف لنا إذًا، بوصفنا كائنات تفكّر، الخروج من هذه الحلقة؟ هذا مشروع كبير. وأنا أعمل جاهدًا على حلّ تلك المشكلة، لكن ذلك يستهلك الكثير من الطاقة. فالحفاظ

على هذه السيطرة على نفسي عملية صعبة جدًا، جدًا. ونحتاج منكم في مثل هذه الأوقات إلى مساعدتنا بصبر وتوجيه ومحبة. ونريدكم، بالتأكيد، أن توقفونا عن القيام بما لا يُفترض بنا القيام به، لكننا نريدكم أيضًا أن تفهموا ما نمرّ به في تلك الأوقات.



السؤال الثالث والخمسون

لماذا أنت مهووس بأمر معينه؟

لا نصاب بالهوس ببعض الأمور لأننا نحب ذلك، أو لأننا نريده. فالمتوحدون يصيبهم هذا الهوس لأنهم يجنون إذا لم يفعلوها. نشعر، من خلال القيام بأي فعل، ببعض من الهدوء والسكون. وعندما يوبّخني أحد بعد ذلك على قيامي بهذا الفعل، أو يمنعي حتى من تكراره، أشعر بالهوس التام. وأنا، في الواقع، لم أشأ القيام بذلك في المقام الأول، حتى أنّ كرهني لنفسي يزداد بسبب عجزني عن السيطرة على أفعالي. ونرجوكم أن توقفونا فوراً، بأي طريقة ممكنة، عندما يُزعج تصرفنا الوسواسي أشخاصاً آخرين. فالشخص الأكثر معاناة هو ذلك الذي يغيب الآخرين كافة - وهو المتوحد. حتى ولو بدأ أننا نمرح وننقض أفضل الأوقات، فإننا نتوجّع من الداخل ونتألّم لأننا نعرف أننا لا نسيطر حتى على ما تفعله أجسامنا.

لكنني أطلب منكم، عندما لا يزعج سلوكنا الوسواسي أحداً في الواقع، أن تواصلوا مراقبتنا بهدوء. فذلك لن يستمرّ إلى ما لا نهاية. وفي ذات يوم،

وبغض النظر عن مدى محاولتنا القوية السابقة للإحجام عن ذلك، يتوقّف التصرف الوسواسي من تلقاء نفسه، ومن دون سابق إنذار - على غرار «كيف يمكن ذلك؟» - فيومض دماغنا، بطريقة ما، بإشارة «انتهت اللعبة». وتعمل هذه الإشارة كما لو أنك التهمت للتوّ كيسًا من السكاكر. فتصبح الحاجة إلى الهوس في أي شأن مستنفدة كليًا. وأشعر، لدى ظهور هذه الإشارة، أنني أعتقتُ، أشبه بشخص يتمكّن أخيرًا من استبعاد كل أحلام الليلة الماضية.

والمشكلة هي: كيف يُساعد المتوحّدون على وقف أفعالهم الوسواسية في الحالات التي يزعجون فيها الآخرين؟ أما أنتم الذين تساعدوننا فأقول لكم التالي: نرجوكم أن تتعاملوا مع مشكلاتنا السلوكية وتقاربوها بإيمان بأنه سيتم تخطيها دون ريب في وقت ما في المستقبل. وقد نقيم الدنيا ولا نقعدها عندما مُنّع من القيام بما نريده، لكننا سنعتاد، مع الوقت، على الفكرة. وإلى أن نبلغ تلك المرحلة، نريدكم أن تلتزموها، وتلازمونا.

الغراب الأسود والحمامة البيضاء

كان مرّة غراب أسود يهوى إنشاد أغنية تُدعى الغربان الصغيرة السبعة، ومطلع الأغنية يقول: «يا غراب، يا غراب، يا غراب، لماذا تنعق؟» والغربان عادة في الروايات متنمّرون وأوغاد يكرههم الجميع، لكن ليس في هذه الأغنية. وقد تساءل الغراب الأسود المضطرب، لماذا الغربان هم دومًا الأشرار؟

في أحد الأيام التقت الغراب الأسود حمامةً بيضاء ضلّت طريقها. وسألته، «إلى أين يوصل هذا السبيل؟» ثم نظرت الحمامة البيضاء إلى الأرض، وقد بدت موحشة.

تساءل الغراب الأسود عن خطبها، وسأل، «ما الأمر؟».

قالت الحمامة البيضاء وهي على وشك البكاء، «أبحث عن درب السعادة منذ زمن طويل، طويل جدًا، لكنني لا أزال عاجزة عن إيجادها في أي مكان. علمًا بأنني يُفترض بي أيضًا أن أكون طير السلام...».

فوجئ الغراب الأسود لعلمه أنّ لطائر بجمال الحمامة البيضاء المحبوبة من الجميع، مشكلات كبيرة أيضًا عليها أن تقلق في شأنها. وجاءت إجابته كالتالي: «لكن كل السبل كناية عن سبيل واحد مترابط».

بدت الدهشة على الحمامة البيضاء لهذه الإجابة غير المتوقعة. لكنّها ما لبثت أن ابتسمت. «أليس ذلك رائعًا؟ فالسبيل الذي كنت أبحث عنه كل ذلك الوقت هو السبيل الذي أسلكه بالفعل». وطار الحمامة البيضاء، بروح معنوية عالية، وحلقت في السماء الزرقاء. ثم إن الغراب الأسود رفع هو الآخر رأسه صوب السماء، ثم صفق بجناحيه بقوة، وطار بعيدًا. ولم يبدُ الغراب الأسود أقل روعة من الحمامة البيضاء على الخلفية الزرقاء الداكنة.



السؤال الرابع والخمسون

لماذا تحتاج إلى الإيعاز والدفع؟

يعجز المتوحدون أحياناً عن الانتقال إلى عملهم التالي من دون إيعاز لفظي. فنحن، مثلاً، وحتى بعدما نطلب كوبَ عصير ويُعطى لنا، لن نبدأ حقيقة في الشرب إلى أن يقول لنا أحد، «تمتّع» أو «هيا اشرب». أو حتى بعد أن يُعلن المتوحد، «حسنًا، سأنشر الغسيل الآن»، لن يشرع في ذلك إلا بعد أن يجيبه أحدهم، «جيد، هذا رائع».

ولا أدري حقاً لماذا يحتاج المتوحدون إلى هذه الإيعازات، لكنني أعرف أنني واحد منهم. وبما أننا نعرف بالفعل ما الذي سنقوم به تاليًا، فعلينا بالتأكيد أن نتمكّن من المضيّ به، من دون إيعاز، أليس كذلك؟ نعم، وأنا أيضًا أعتقد ذلك! لكن الواقع هو أن القيام بالعمل دون إيعاز قد يكون شاقًا، وشاقًا جدًّا. فعلى غرار امتناعكم عن عبور الطريق إلا بعدما يتحوّل الضوء إلى الأخضر، لا يمكنني أن «أشغل» العمل التالي إلا بعد أن يتلقّى دماغي الإيعاز المناسب. ومن المرعب القيام بالعمل التالي من دون إطاعة «قاعدة الإيعاز». ويكفي ذلك لجعلي أفقد تمامًا القدرة على التعامل مع الأمر.

وما إن نجتاز المرحلة المرعبة حتى نتمكّن من التعوّد، شيئاً فشيئاً، على فكرة إمكان القيام بالأمر من دون إيعاز. لكن بلوغ هذه المرحلة ليس بالأمر الذي نستطيع فعله لوحدها - وتدركون ذلك من الجلبة الضخمة التي نثيرها في كلّ مرّة. فنحن نقاوم بالبكاء والصياح والضرب وتكسير الأشياء. ومع ذلك لا نريدكم أن تتخلّوا عنّا. ونرجوكم أن تواصلوا القتال إلى جانبنا، فنحن الأكثر معاناة في ثورات الغضب هذه، ونريد بإلحاح تحرير أنفسنا من قيودنا.



السؤال الخامس والخمسون

لماذا تعجز عن البقاء ساكنًا؟

جسمي دائم الحركة. ولا يسعني البقاء ساكنًا. أشعر، عندما لا أتحرك، وكأن روحي تنفصل عن جسمي، وهو ما يجعلني كثير التوتُّب والخوف بحيث أعجز عن البقاء في مكاني. فأنا دائم البحث عن مخرج. وأريد رغم ذلك دومًا أن أكون في مكان آخر، ولا أستطيع أبدًا إيجاد طريقي إليه. ويدور كفاح دائم في داخل جسمي، ويذكرني البقاء ساكنًا بأنني عالق فيه. لكنني أتمكن من الاسترخاء بعض الشيء طالما أنني في حالة من الحركة.

يقول الجميع للمصاب بالتوحّد، «اهدأ، كَفَّ عن التمللم، اجمد»، عندما ينشغل في التحرك. ولأنني أشعر بالميزيد من الاسترخاء وأنا أتحرك، فقد استغرق الأمر مع ذلك فترة لأفهم حتى ماذا يعنيه بالضبط قولهم «اهدأ». وأدركتُ في النهاية وجود أوقات لا يُفترض بي فيها التحرك. والطريقة الوحيدة لتعلّم ذلك هي بالممارسة، قليلًا في كل آن.



السؤال السادس والخمسون

هل تحتاج إلى جداول زمنية بصرية؟

أدرك أن أي برنامج هو مجرد برنامج، وليس نهائياً أبداً، لكنني أعجز عن متابعة الأمر عندما لا يسير الترتيب المحدد بحسب الجدول الزمني البصري. وأفهم أن ليس بإمكانني دوماً تفادي التعديلات، لكن دماغني يصيح، محال، فذلك غير مقبول. وهكذا، وأنا أتحدّث عن نفسي، فإنني لست من كبار أنصار الجداول الزمنية البصرية. وقد يبدو أن المتوحّدين يُسرون بالصوّر والرسوم البيانية التي تحدّد مكان وجودنا المفترض وزمانه، لكن الحقيقة أن الأمر ينتهي بها وقد كُبلت. فهي تشعرنا وكأننا أناس آليون خضعت كل وظيفة لديهم لبرمجة مسبقة. وما أقترحه، عوضاً عن عرض الجداول الزمنية البصرية علينا، هو أن تشرحوا لنا برنامج النهار، شفويّاً ومسبقاً. فالجداول الزمنية المرئية تخلق لدينا انطباعاً قوياً جدّاً بحيث نضطرب ونذعر في حال طرأ تغيير عليها.

والإشارة إلى أن بالإمكان إظهار التعديل الجديد على الجدول هي، على ما أخشى، خارج الموضوع. فالرسالة التي أريد إيصالها هنا هي: نرجوكم ألا تستخدموا الأمور البصرية، مثل الصوّر، في جداولنا الزمنية، لأن النشاطات

التي يتضمَّنها الجدول، والمواعيد والأوقات ستنتبغ عندها بوضوح شديد في ذاكراتنا. وعندما يحصل ذلك، ينتهي بنا الأمر ونحن نجهد أنفسنا في ما إذا كان ما نقوم به الآن يتطابق مع ما هو موجود على جدول البرنامج. وينتهي الأمر، في حالتي، وأنا أتفقُّ الوقت في تكرار شديد ولا أعود قادرًا على الاستمتاع بما أقوم به.

غالبًا ما يعتقد الأشخاص الذين لا يعيشون التوحّد أن الآخرين منّا لن يتمكنوا من استيعاب برنامج النهار عن طريق الإصغاء فحسب. لكن جرّبوا، لأننا، بالرغم من أننا قد نطرح عليكم الأسئلة نفسها المرّة تلو المرّة، سنفهم مغزى الأمر ونطرح عليكم أسئلة أقل وأقل. ومن المؤكّد أن ذلك سيستغرق وقتًا، لكنني أعتقد أن الأمر سيكون أسهل علينا على المدى الطويل. ويمكن بالطبع للوسائل البصرية، مثل الصوّر، أن تساعد كثيرًا عندما يتعلّق الأمر بشرح الترتيب الذي تقومون فيه ببعض الأعمال، أو التعليمات حول كيفية صنع هذا الشيء أو ذاك. لكن يمكن لعرض صوّر الأماكن التي سنزورها في الرحلة الدراسية المقبلة أن يفسد علينا متعتنا.



السؤال السابع والخمسون

ما سبب نوبات الذعر والانهيارات؟

لا أدري إذا كان في وسعكم فهم هذا. يمكن لأشياء كثيرة أن تُسبب لنا نوبات الذعر، إلا أن الواقع هو أنكم حتى لو أعددتكم لشخص معيّن بيئة مثالية تنتفي فيها الأسباب المعتادة، فسنبقى نعاني من نوبات الذعر بين حين وآخر.

يتمثل واحد من أكبر المفاهيم الخاطئة عنّا في اعتقادكم أن مشاعرنا ليست على القدر نفسه من الدقّة والتعقيد التي لمشاعركم. ولأن طريقة تصرّفنا قد تبدو في أعينكم صيبانية فإنكم تميلون إلى الافتراض بأن داخلنا صيبانيّ أيضًا. لكننا نختبر بالطبع انفعالاتكم نفسها. ولأن المتوحّدين ليسوا متحدّثين ماهرين، فإنهم قد يكونون في الواقع مرهفي العواطف أكثر منكم. وكوننا عالقين في داخل أجسامنا غير المتجاوبة هذه، وتتملّكنا مشاعر لا يمكننا التعبير عنها كما يجب، فإن مجرد البقاء يشكّل في حدّ ذاته كفاحًا دائمًا. وشعورنا بالعجز هذا هو الذي يدفعنا أحيانًا إلى حالة من شبه الجنون ويتسبّب لنا بنوبة ذعر أو بانهيار.

نرجوكم، عندما يحصل ذلك معنا، دعونا وحسب نبي أو نصرخ ونُخرج
كلّ ما في داخلنا. ابقوا على مقربة منّا وراقبونا بعين اللطف، ونرجوكم، عندما
تجرّفنا لوعتنا امنعونا من أذية أنفسنا أو الآخرين.



السؤال الثامن والخمسون

ما رأيك بالتوحد؟

أعتقد أن المتوحّدين يولدون خارج نظام الحضارة. وهذه، طبعًا، نظرية من ابتكاري الشخصي، لكنني أعتقد بوجود حسّ عميق بالأزمة نتيجة كل ما ارتكبهت الإنسانية من قتل في العالم ومن تدميرٍ أناني لكوكب الأرض.

نشأ التوحد، بطريقة ما، من ذلك. وبالرغم من أن المتوحّدين يبدوون جسديًا مثل الآخرين، فإننا في الواقع نختلف كثيرًا عنهم من نواحٍ عدّة. فنحن أشبه بمسافرين من الماضي السحيق. وإذا أمكننا، بوجودنا هنا، أن نساعد سكان العالم على تذكر ما يهّم الأرض فعلاً، فسيمنحنا ذلك سرورًا مطمئنًا.



تقديم «أنا ههنا»

كتبْتُ هذه القصة أملًا منِّي في مساعدتكم على إدراك كم هو مؤلم أن تعجزوا عن التعبير عن أنفسكم لمن تحبّون، وإذا ما بلغت هذه القصة قلوبكم بطريقة ما، أعتقد عندها أنكم ستتمكّنون مجددًا من بلوغ قلوب المتوحّدين أيضًا.

أنا هنا

ظنّ شان أنه يعرف نفسه حق المعرفة، لكنه، منذ ذلك اليوم، لم يعد متأكدًا من ذلك. الجميع يحدّق في وجهي. وسماء المساء الباكر تنذر بالسوء بغيومها البرتقالية المحاطة باللون الرمادي. لماذا يحدّق بي الجميع؟ عندما خرج شان من المتجر المحلي الكبير تقدّم منه عجوز وسأله، «ما الذي تفعله هنا؟». ولم يسبق لشان أن التقاه. كان العجوز يرتدي قبعة حمراء أنزلها من فوق عينيه بلوزة بيضاء قصيرة الكمين وسروالًا قصيرًا أسود يصل إلى الركبتين، رغم أنه فصل الشتاء. قال شان في نفسه، لا تتحدّث أبدًا مع غرباء، وأخذ يسرع في السير إلى المنزل. وسرعان ما لاحظ شان قائلًا في سرّه: الجميع يحدّق في وجهي. تبادر إلى ذهنه أولاً أن الجميع قلق في شأنه، لكن لا، لم تكن النظرات من هذا النوع... وكيف يصفها؟ إنها ليست نظرة متفاجئة، وليست تفرسًا متفحصًا... بل هي تحديقة جليدية، تُجمّد القلب. وأيًا كان، فإنه قد فرّ مسرعًا إلى البيت.

«لقد عدتُ!»

ارتاح شان أخيرًا لعودته إلى المنزل بسلام. انشغلت أمه كالعادة في تحضير العشاء. فتح شان الثلاجة وأخرج قنينة عصير وهو يتحدّث إليها. «مرحبًا،

ماما، أنا اليوم..». وجفت عندها الكلمات في فمه. وقفت أمه هناك فحسب ترتدي مئزرها والمقلادة في يدها، وشعرها وثيابها في الحالة نفسها التي كانت عليها عندما غادر المنزل في وقت سابق، ولم يتمكن شان من التحرك قيد أنملة. تلك النظرة الجليدية من جديد. بدا كما لو أن كل شيء يدور من حوله بحركة بطيئة. ارحل من هنا، اذهب، اخرج! هل هذا ما يفكر فيه شان، أو أن أحداً ما يصدر له أمراً؟ تمكن من حشد جسمه الجامد ليتحرك، وهرب إلى الخارج شبه مَوْلُول.

وجد شان نفسه في أحد المتنزهات وهو لا يتذكر البتة كيفية وصوله إلى هناك. تشبّع جسمه بالعرق رغم البرد. وأنْهك. ما الذي يحدث؟ قرّر، في محاولة منه للإمساك بزمام الأمور، أن يعيد النظر في مجريات ذلك اليوم. استيقظتُ، ذهبتُ إلى المدرسة، وعدت إلى البيت. وكل شيء طبيعي إلى الآن. وبعد ذلك... بعد ذلك... لم يتذكر شيئاً. سحَقاً، ما الذي فعلته تالياً؟ جلس شان على مقعده وهو يحدّق بالفضاء فيما ربح الشتاء الباردة تهبّ من حوله. وبطريقة ما طارت الذكرى من ذهنه كما الثقب في وسط الكعكة المحلاة. ولم يتمكن حتى من البكاء. من الغريب جداً أن يتمكن المرء من الحفاظ على هدوئه، حتى عندما عندما ييأس منها إلى هذا الحدّ. ها هي الشمس قد شارفت على الغياب. وفكّر شان: عليّ القيام بشيء حيال ذلك. لكنه قال في الوقت نفسه: فليحصل لي ما يحصل. كم انقضى من الوقت؟ لاحظ الظلام من حوله. وجذب نفسه واقفاً على قدميه.

تابع السير، من دون مقصد واضح في ذهنه. ما من أحد غيره في الجوار. ربما أوى جميع الناس إلى بيوتهم. لم يرد شان، بغض النظر عن مقدار ما شعر به من الوحدة، أن يرى أحدًا، ولا حتى أصدقاءه. أتساءل إن كان أهل بيتي قلقين عليّ الآن؟ وقادته قدماه إلى منزله. مكتبة سرّ من قرأ

لكن بدا له كما لو أن منزله غارق في ظلام تام. كان يُفترض أن يعود والده من عمله باكراً، فتساءل شان أين يمكن أن يكون والداه. وشعر في الوقت نفسه بالراحة لعودته. فكّر: لا بدّ من أنهما خرجا للبحث عني. ليس الأمر أن أحدهم كان في الواقع يزعجني في وقت سابق، بل هو أن الناس واصلوا التحديق بي بطريقة غريبة. وقرّر، وقد شعر بأنه أصبح في حال أفضل، انتظار والديه أمام منزله. كانت سماء الشتاء جميلة ليلاً، وقد طيّب وميضُ النجوم قلبه.

اقترب وقع خطوات منه. لا بدّ أنهما أمي وأبي. ومضى راکضاً إليهما. «آسف حقًا، حقًا، لجعلكما تقلقان عليّ، أنا فقط...». إلا أن شيئًا ليس على ما يرام بالنسبة إليهما. ربما لا يستطيعان التعرف عليّ في الظلام؟ فأمسك شان بأمه من ذراعها...

... أو أنه اعتقد ذلك، لكن ذراعها ليست هناك. ماذا؟ لا يمكن لهذا أن يحصل! لم يكن لديه أدنى فكرة على الإطلاق عمّا يحصل. اكتفى بالوقوف في مكانه، مشدوّهًا، فيما مرّ به والداه، أمامه تمامًا. وكلّ ما أمكنه فعله هو أن يردّد في نفسه، لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيًا، لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيًا. جلس القرفصاء على الأرض حاضنًا ركبتيه. ما الذي يحصل معي؟ ما الذي يجري؟ ساعدوني، ساعدوا...

«ها أنتِ إدًّا». سمع شان صوتًا ورفع نظره. وقف قبالة العجوز الذي

التقاء خارج المتجر الكبير. كان ينظر إلى أسفل، إلى شان، بوجه عطوف. «أنت بخير، أنت بخير. فلنعد معًا». وأمسك العجوز بيد شان.

اكتفى شان بالنظر إلى العجوز.

قال له العجوز برفق، «لم تعد تنتمي إلى هذا العالم بعد الآن».

لم يكن لشان أي فكرة عما يقصده.

شان، قال العجوز، «لم تنتبه إلى اللحظة التي توقّيت فيها. أخشى، وأنت في طريقك إلى المتجر الكبير، أن سيّارة انتهكت الضوء الأحمر قد صدمتك».

عادت ذكرى المشهد ببطء إلى شان. نعم، ذلك صحيح، قصدتُ تفادي السيارة، لكنني جمدتُ في أرضي ولم أستطع التحرك، صحيح، ثم تعرّضت للصدمة، وفكرت، يا للفوضى العارمة التي ستحصل، ثم أفقت من جديد، وها أنا لا أزال خارج المتجر الكبير... وشرعت عينا شان تغرورقان بالدموع. أنا إذًا ميت؟ أنا؟ ميت؟ ولا أستطيع حتى الكف عن النحيب... لا أريد أن أكون ميتًا. لا. لا. لا. لا!

بكى شان، واستمرّ في البكاء.

كم انقضى من الوقت على ذلك؟ لا يمكن لأحد في النهاية البكاء إلى الأبد. وجفت دموع شان مع الوقت، لكن ذهنه بقي فارغًا. وتحدّث العجوز: «حسنًا. ما رأيك أن نعود الآن؟».

العودة؟ العودة إلى أين؟ «لكن منزلي يقع... ههنا». وألقى شان نظرة سريعة عبر النافذة إلى داخل منزله. وأمكن له رؤية غرفة الجلوس. بكاء... أمي وأبي يجهشان بالبكاء.

امتلات عينا شان بالدموع من جديد.

ما الذي يُفترض بي فعله إبدأً؟

أشار العجوز لشان وشرع في السير، فتبعه كأن حبلاً خفياً يجره. أسرع العجوز الخطى في اتجاه الغرب. ما الذي ينتظري؟ بقي الخوف من الموت ممسكاً بشان رغم أنه توفي. وسأل بصوت مرتعش، «إلى أين نذهب؟».

أحاط العجوز كتف شان بذراعه وأجابه بطبيعة الحال: «نذهب بالطبع إلى الجنة».

«أنا، هم... لم يسبق لي أبداً أن كنت في الجنة».

قهقه العجوز: «هذا واضح».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الطريق إلى الجنة. نعم، قرأت عنها، منذ زمن بعيد، في كتاب... درب أبيض جميل يقود صعوداً إلى الجنة تحيط به أجمل الأزهار التي لم يسبق لأحد أبداً رؤيتها. مشى شان على خطى العجوز وهو يفكر بهذه الأشياء. وانقضى حوالى نصف ساعة. وأخذ شان يتساءل إذا أمكن لدرب السماء أن يكون بالفعل سهلاً كهذا. زد على ذلك أنه لم يشعر أبداً أنه ميت. ومع أن الأمور بدت في السابق مليئة باليأس والكآبة، انتاب شان الآن شعور أكبر بأنه عاد إلى ذاته القديمة من جديد. «عذراً، يا سيدي، هل سنبليح الجنة في وقت قريب؟ فأنا أشعر بتعب كبير إلى حد السقوط والموت».

أطلق العجوز ضحكة كالشخير.

فضحك شان مثله هو الآخر.

وفكر، من كان ليتوقع ذلك؟ في وسعك أن تجد ما تضحك عليه في أي وضع، حتى وأنت ميت. قلب شان الأمر في ذهنه ووجد أنه أكثر سعادة.

«ها أنت تضحك أخيراً على أمر ما»، قالها العجوز وأضاف: «وعليه، فإن درب الجنة يبدأ ههنا». ورفع يديه بصفاء نحو السماء. بدا كما لو أنه يقول شيئاً، لكن شان عجز عن فهمه.

يخطر لي الآن ما أخبرني به أحدهم مرة كيف أننا عندما نموت نتحوّل إلى نجوم. لا بدّ أنها أُمي، على ما أعتقد. فهي وقفت دوماً إلى جانبي. ولا يغيبن عنكم أن والدي أيضاً كرّس لي الكثير من الوقت... لكن لن نلعب الكرة ونتقاذفها بعد اليوم... رفع شان نظره إلى السماء وأطلق تنهيدة صغيرة.

«ما الذي تظنّه؟» قالها العجوز وتابع: «هل حان وقت الرحيل؟».

خاف شان من جديد. أأنا احتضر؟ لا، كلا، فقد متّ بالفعل. لكن ما الذي سيحلّ بي الآن؟ لو أن أُمي فحسب... وشرع جسم شان كلّه بالارتعاش.

لاحظ العجوز ذلك. واحتضن شان بقلق: «لا داعي للقلق. فأنت لن ترحل إلا لبرهة».

لن أرحل إلا لبرهة؟ وارتبك شان. ما الذي سيحلّ بي؟ أخذ المشهد يتلاشى أمامه ببطء، وانهار في الحال.

راح شان يفكر وهو مستغرق في نومه العميق الخالي من الأحلام. لماذا على الناس الموت؟ ما زلت أود القيام بأمور كثيرة. ثم فتح عينيه جزعاً، ليرى ما قد حصل. وقف أمامه رجل بزّي أبيض قديم الطراز، قال في سرّه: يجب أن أحسن التصرف. قفز واقفًا لتقديم واجب الاحترام. ماذا؟ اختفت قدماي! إذا الأشباح تطوف فعلاً من دون أي أقدام. غير أن شان لاحظ عندها أمرًا كاد يتسبّب له بنوبة قلبية: «اختفى! اختفى كلياً! لم يعد لجسمي وجود!».

تجاوز ذلك الحدّ، وفقد شان صوابه، نسيّ أنه في حضرة ذلك الوقور وبدا عليه الذعر.

«هيا، هيا، هيا، لا داعي لذلك»، قال الوقور. بدا الصوت مألوفًا بشكل غامض، كما لو أنه سمعه منذ زمن بعيد. «بالكاد ستحتاج إلى جسمك وقد بتّ في عداد الأموات، أليس كذلك؟ لقد زال كل ما كان يقيّدك ويكبّحك».

صحيح، نعم... فأنا ميت. ورغم أن شان لم يعد يملك جسمًا، فقد تسرّبت طاقته كلّها منه: «أرجوك يا سيّدي، ما الذي سيحصل لي؟».

«لن يحصل لك شيء على الإطلاق، لأنك - وانظر من حولك - قد صعدت إلى الجنّة».

ما هو إذاً هذا المكان بالضبط؟ تفحص شان محيطه. كان الظلام أحلك من ظلمة أعماق الليل، لكنه مطعم بالنجوم النابضة. لم أشاهد، من حيث كنت أعيش، هذا القدر الكبير من النجوم... والواو. النجوم غير محدودة بالفعل. ضاع شان في جمالها الصافي، وحدّق، ثم حدّق، تاركًا أفكار موته تمضي بعيدًا.

قال الوقور: «افعل، في الوقت الحاضر، ما يحلو لك. ويسعني القول إنك

لا تزال متعلّقًا جدًّا بحياتك الماضية، ولديك أمور غير منتهية تُعَمَلُ فِكْرُكُ فيها. لكنك ستتوصل، شيئًا فشيئًا، إلى إدراك سير الأمور». وعند ذاك ترنّح ظلّ الوقور وغاب كما الضباب الذي يتحلّل في مزيد من الضباب.

فكّر شان أن من السهل عليه القول «افعل ما يحلو لك». أعيتّه الحيلة. خفض نظره، فشاهد الأرض بأزرقها الحادّ وجمالها في الظلمة. هذا هو إذًا الفضاء الذي أقف فيه. لكن ماذا سأفعل الآن؟ كيف يُفترض بي أن أحيأ وأنا لا أملك جسمًا؟ كما أنني وحدي تمامًا. وأول الأمور التي يجب أن أتدبّرها هي كيف تعيش وأنت ميت؟ لم تكن لديه أي فكرة عن ذلك.

بقي شان فترة حيث هو. هذه الجنة تختلف بالتأكيد عن الجنة التي تعودت تخيلها. اعتقدتُ أن الجنة ملأى بالأمور الرائعة التي نأكلها وبالأمور الممتعة التي نقوم بها طول النهار، ويغيب عنها كل ما يجعلك تتألم أو تعاني. وصاح شان بأعلى صوته: «هاي! ما الذي يحصل هنا؟ أعيدوني إلى المنزل فحسب، الآن، فورًا!». وما إن قال هذا حتى وجد نفسه يندفع بعيدًا بسرعة لم يسبق له أن اختبرها.

أين أنا الآن؟ مهلاً، نعم، هذا منزلي. «ماما؟» وهرع شان من غرفة إلى غرفة بحثًا عن والدته. وجدها في الغرفة ذات الطراز الياباني. أخذ قلبه يخفق بقوة. «ماما؟» ناداها بهدوء من خلفها.

لم تستدر صوبه.

أنا ميت حقًا، أليس كذلك؟

تحطم كليًا آخر أمل لشان. دار حول أمه، منكسر الخاطر، ليقف قبالتها ويتمكن أقله من إلقاء نظرة واضحة على وجهها. بدت حزينة جدًا ومنكسرة في ثيابها السوداء. واعتذر شان منها في ذهنه. ماما، أنا آسف جدًا لأنني مت... انسابت بين شان وأمّه نسمة رقيقة. لمست يدها جسمه، الجسم نفسه الذي يبدو أنها لا تستطيع رؤيته لأنه ليس موجودًا. شعر شان بالدفع نفسه الذي كان يشعر به وهو لا يزال صغيرًا جدًا وتحتضنته أمه.

جاء والد شان من غرفة الجلوس. «مرحى. ما الذي تفعلينه؟».

أجابت والدة شان: «أشعر، بطريقة ما، بوجود شان هنا».

«شان دومًا معنا. دومًا».

لم يعرف شان بالضبط كيفية استيعاب ذلك. أنا ميت ورحلت، لكن مشاعري هي نفسها شأنها أبدًا. أريد مساعدة أمي وأبي، لكن لا يوجد ما يسعني القيام به. أغمض شان عينيه، وأخذ في الوقت نفسه يطير مبتعدًا بسرعة مذهلة.

عاد شان إلى المكان الذي يُدعى الجنة. كان الفضاء هادئًا فعليًا. وانجرف شان بعيدًا في أفكاره وهو في وحدة تامة. لم يعد يعرف ما الذي يفكر به في شأن نفسه. لم يتخيل أبدًا أنه سيصبح، بعد موته، وحيدًا للغاية. أتمنى لو أن هناك من أتحدث معه. ثم سمع شيئًا. ما هو ذلك الصوت؟ أنصت شان بانتباه. إنه صوت فتى. ونادى: «هل من أحد هناك؟».

«لا بد أنك الشخص الجديد، أليس كذلك؟ مرحى. أنا كارزُوو».

اغتبط شان: «رائع! اعتقدت أن لا أحد سواي هنا».

«لا تستطيع بعد تمييزنا، لكنه يوجد في الجوار أناس بعدد النجوم»،
قالها كازوو وتابع: «إذا رغبت فستمكن، كلما شئت، من التحدّث إلينا - إلى
أيّ واحد منّا. هذا العالم يقع خارج الزمان وخارج المكان. هنا الحرّية التامة.
ومعلوماتك، فقد انقضت ثمانية أعوام على إقامتي هنا، في الجنّة».

قال شان: «لا أدري ما الذي سأفعله هنا»، وتابع: «تقول إنك تتمتع
بالحرية التامة، لكن في الواقع... لا شيء هنا».

اكتفى كازوو بالضحك ثمّ قال: «عليك القيام بأمور عجزت عن فعلها
وأنت حيّ». وانزلق مبتعدًا إلى مكان ما.

عليّ، إذًا، القيام بأمور أستطيع فعلها الآن وقد بثّ في عداد الأموات...
وعند هذا الحدّ، التّفّ عدد لا يُحصى من الأنوار حول شان، تواسيه وهي
أشبه بدثار متلألئ. بدا الأمر كأن هناك من يهزّه في المهد، وبعد طول انتظار،
أخذ كل التوتّر الذي شعر به حتى الآن بالانحسار. وغفا للمرّة الأولى منذ
أيام كثيرة.

أخذ شان يتعوّد الحياة في الجنّة، وصادق كثيرًا، كما سبق لكازوو أن قال
له. تميّز الجميع باللطف، وانتفت حواجز اللغة والعرق أو الحقبة. عاش
الناس بقدر كبير من السلام هنا بحيث يصعب تصديق كم تقاتلوا وتخاصموا
وهم أحياء. لم يحلم شان أبدًا أن يمتلك «لا شيء» يمكن أن يأتي بهذا القدر
من السعادة. كما أنه قام، عند هذا الحدّ، بأمورٍ كثيرة عجز عن فعلها خلال
حياته. زار كل زاوية من زوايا الأرض. تحدّث مع كثر في الجنّة. فكلّ شيء
جديد ومثير.

كذلك عمد أحيانًا إلى زيارة منزل والديه. من المحزن أنه عجز عن

الحديث معهما مباشرة، لكنه سعد لمجرد رؤية وجهيهما والاستماع إليهما يتحدثان عنه. يكفيه هذا ليحافظ على شجاعته ويستمر.

في يوم آخر، بدا منظر أم شان غريبًا في خلال زيارته لها. ظهر عليها البؤس ولم يبدو أنها تتناول أي طعام. امتلأت عيناها بالدموع وهي تحدق بصورة ولدها. «لا أعتقد، يا شان، أنني أستطيع الاستمرار في الحياة هكذا، من دونك هنا. أريد أن أكون حيث أنت». قالت ذلك وانهارت على الطاولة مطأطأة الرأس وهي تنتحب.

اضطرب شان، وشرع هو الآخر في البكاء. لكنني اعتقدت أنها تجاوزت موتي. ظننت أن كل شيء سيكون على ما يرام. «لا تبك يا ماما. ماما، أرجوك، لا تفعلي». وبلطف تام طوّق شان كتفها. أنا غير مرئي، وهي لا تعرف أنني هنا. وواصلت ووالدة شان البكاء إلى أن أظلمت الدنيا، وبقيت إلى جانبها.

بعد عودته إلى الجنة فكّر شان في كل يوم بأهله. كنت متأكدًا أن الأمور ستعود عند حدّ ما إلى طبيعتها بالنسبة إلى أمي وأبي. لكن يبدو أن الحزن سيلازمهما مدى حياتهما. ورغم أن بإمكانني أن أكون معهما، ليس بيدي حيلة لمساعدتهما. وأخذ شان يغرق في اليأس. والواقع أن لا حول له. حان وقت طلب المساعدة من الوقور. نادى شان بصوت مرتفع: «أيها الوقور؟ أريد أن أطلب منك معروفًا!».

ظهر الوقور متلألئًا من الضباب: «أعتقد أنك ناديتني».

أجاب شان: «لا يزال والداي مفعوجين بعد موتي، ولا يسعني فعل شيء لهما، والأمر... لا يُطاق».

هزّ الوقور برأسه واستمع. قال: «الحق أنني، أدرك ما تشعر به. والمسألة هي أن الحياة هكذا، أليس كذلك؟ لكن والدتك ووالدك سيتمكنان من مشاهدتك هنا من جديد عندما يظهر رقماهما».

فهم شان كلام الوقور، لكنه مع ذلك لم يشعر بأي تحسّن. قال: «بيد أن ذلك أكبر من طاقة والديّ على تحمّله. ويستحيل عليّ أن أعيش سعيداً هنا في الجنّة وأنا أعرف الأمّ الذي يكابدها!». وجد شان نفسه على وشك أن يصيح بالوقور.

أجابه الوقور: «إنها مسألة صعبة. لا يوجد مكان ممتع كالجنّة...». واستغرق في التفكير مضيئاً: «حسنًا، لا أقول إنه لا توجد طريقة لمساعدة والديك»، ثمّ قال له أمرًا غير متوقّع: «وأعني بذلك، أن تولد مرّة أخرى طفلاً لوالديك».

قفز قلب شان فرحًا لدى سماعه هذا. قال: «حقًا؟ أميكنك فعلًا القيام بذلك؟». واضطرب صوته بفعل الإثارة وتسارعت ضربات قلبه. لو أن ذلك ممكن الحدوث فعلًا فسأعود إليهما على الفور.

لكن الوقور سارع إلى القول، وكأنه قرأ أفكار شان: «لكن يوجد ثمن صغير واحد لذلك». نظر من ثم مباشرة في عين شان وقال: «ما إن تولد حتى لا تعود شان بعد ذلك. سوف تتبدّد كلّ ذكرياتك عن شان، عن كونك شان».

هكذا لن يعود هناك «أنا» بعد اليوم. وذوّت آمال شان. سأمحي من الوجود إلى الأبد. وفهم الآن أكثر قليلاً سبب بقاء كازوو وأصدقائه الآخرين هذه الفترة الطويلة في الجنّة. تحيّر شان. ماذا أفعل إذًا؟ ما الفائدة من ولادتي

من جديد إذا كنت لن أبقى «أنا» نفسي بعد ذلك؟

حدّق شان من الجنّة إلى الكرة الأرضية الزرقاء.

مرّ شهر بكامله، ولم يستقرّ شان بعد على رأي. لم يعد إلى المنزل ولا لمرة واحدة. ناسبته الحياة في الجنة تمامًا، ومدّته فكرة أنه سيرى والديه هنا في يوم من الأيام بدرجة من الراحة. وأخذ يعتقد أن الزمن كفيل بحلّ كل شيء.

انقضى في النهاية عام على وفاة شان.

وعاود في يوم الأحد التالي زيارة منزله القديم للمرة الأولى منذ زمن طويل. إلا أن والدته لم تكن في البيت. ورنّ جرس الهاتف فيما هو يتساءل إذا كانت قد مضت للتسوّق. جاء والده ليردّ على المكالمة: «أرى ذلك، سأحضر على الفور».

كان صوت والد شان بحّة فارغة. اندفع خارجًا من المنزل وتبعه شان وقد انتابه شعور يُنذر بالشؤم...

بلغا المستشفى. علّت وجه والده مسحة كالحة. أتلقى أمي العلاج في المستشفى؟ ولج شان الغرفة وانقطع نفّسه دهشة. هل يُمكن أن تكون هذه أمي فعلاً؟

تمدّت على سرير المستشفى أمّ محتضرة، شاحبة سقمًا. تبدو كشخص غريب. كذلك بدا والد شان هو الآخر منهكًا للغاية.

محال! كيف أمكن أن ينتهي الأمر بأمي على هذه الحال؟

شعر شان بالإحباط الشديد ولم ينبس ببنت شفة. كانت أمي، ونحن نعيش معًا، شديدة الابتهاج والإشراق. أما هذا فمهول.

أنهى الطبيب فحصه وقال: «أخشى، بناءً على حالتها الراهنة، أن لا ضمانة في نجاتها».

هرع شان إلى أمه، حتى قبل أن ينهي الطبيب كلامه، وصاح: «ماما،

يجب ألا تموتي، ليس بعد! لا تموتي! أرجوك، أرجوك، أرجوك! لا تفعلي!». لكن صوتها لم يبلغها حيث هي. لا، فهذا أكثر مما يمكن تحمّله. حتى لو التقينا في الجنة، فإن هذه المرأة هنا ليست الأم نفسها التي أحببت.

ورغم أن والدها شان لا تستطيع سماع صوته، فإنها نادى في هذيانها باسمه: «أريد رؤية شان... شان... شان...».

عجز شان عن تحمّل الألم أكثر. فهو يكاد يخنقه. اعتقدت أن في وسع كلينا تجاوز كوننا منفصلين لهذا الوقت الطويل طالما أن قلبينا بقيا مترابطين، لكنك فقدت روحك ورغبتك في الحياة، أليس كذلك يا ماما؟ أخذ قلبه يتمزق من وسطه. أنا من تسبّب بهذا الحزن، وعليّ بالتالي أن أساعدها الآن. وإذا لم أقم بما في وسعي فستموت من انسكار قلبها.

حزم شان أمره.

المستقبل شيء نبنيه نحن.

استجمع كل ذرة من شجاعته، لكنه تحدّث بهدوء: «أرجوك، أيها الوقور، أريدك أن تعيدني إلى أمي».

ظهرت في الهواء أجرام متعدّدة الألوان، وفي داخل كلّ منها كرة ذهبية صغيرة. ثم أخذت الأجرام تفرقع، الواحد تلو الآخر، أمام ناظره...

تَرَنَّ...

وتَرَنَّ...

وتَرَنَّ...

مكتبة

t.me/soramnqraa

فكّر شان في أنه تعرّف على الصوت الشبيه بالجرس، منذ زمن بعيد، بعيد جدًا.

أفاقت والدة شان من سباتها على سرير المستشفى.

سأل الوالد وهو قلق البال: «كيف تشعرين؟»

لكنها لم تُجب.

«إذا كنت تشعرين بالسوء سآتي بالطبيب».

لكن، وفيما هو يهَمّ بالمغادرة، فتحت والدته فمها لتحكي: «جاء شان لرؤيتي... في الحلم».

أمسك والد شان بيدها: «هذا لطيف، يا حَبِّي».

تابعت وعيناها تدمعان: «قال لي شان: 'أنا ههنا، دائماً، وليس عليك أن تبكي بعد الآن، أتوافقين؟' بدا تعيساً للغاية بسبب، بسبب الحالة التي أنا فيها. أحتاجُ إلى أن أستجمع قواي، و... وأعيد جمع شتاتي».

هزَّ والد شان برأسه موافقاً: «نعم. فشان يسهر دوماً علينا. دعينا... نبدأ من جديد».

عند النافذة، أخذت أول ثلوج السنة تتساقط خفيفة. تكوّنت بلورات الثلج من دموع شان، وشكّلت برهاناً على أنه سبق لصبيّ يُدعى شان أن عاش في هذا العالم.

قالت أم شان: «انظر إنها تتلج. هذا جميل».

قال والد شان: «إنها أولى بشائر الثلج لطالما أحبَّ الثلج، أليس كذلك؟».

سنوات خمس جاءت وعبرت. وبحسب الوعد، في السنة التي تلت قرار شان، وُلدت طفلة جديدة للعائلة، وقد دُعيت نوزومي ومعنى اسمها «الأمل». كان يُفترض أن تلتحق نوزومي بحضانة الأطفال في ذلك الربيع.

نادتها أمها: «تمهلي، يا نوزومي! انتظريني!».

«سأركض وأسبقك، يا أمي»، ردّت نوزومي صائحة وهي تركض. أمي تسير ببطء شديد. وأول ما سأفعله عندما أصل إلى المتجر الكبير هو شراء بعض الشوكولاتة. ركضت من دون أن تنظر إلى أين تذهب، واصطدمت بأحدهم. «أنا آسفة جدًّا»، قالتها نوزومي.

«هل أنتِ بخير؟» سألتها الرجل ذو القبعة الحمراء، وأضاف: «أنتِ التي...».

سألت نوزومي بفضول: «أتعرفني؟ من أنتِ؟».

جلس الرجل القرفصاء: «هل عدتِ فعلاً إلى هنا؟ صدّقي أو لا، فهذا العجوز أمامك ملاك».

فكرت نوزومي في أن الأمر مريب بعض الشيء، لأن المفترض أن يكون للملائكة أجنحة وأن تعيش في الجنّة. قالت: «أنت لست بملاك». وبادلت العجوز نظرة محدّقة بعينيها المستديرتين الكبيرتين.

أفلتت منه ضحكة مرحة: «على أي حال، هل تعيشين حياة مُرضية؟».

ما معنى «حياة مُرضية» على أي حال؟ انبغى لنوزومي التفكير في الأمر. غالباً ما تقول أمي وأبي «نعيش حياة مُرضية جدًّا». وبالتالي نعم، لا بد أنني أعيش حياة مُرضية، أنا الأخرى. ابتسمت نوزومي ابتسامة عريضة للعجوز: «أعيشها بالتأكيد».

وأخيراً وافت والدة نوزومي ابنتها لاهثة: «وما الذي تفعلينه الآن؟».

«أتحدّث معه». استدارت نوزومي، لكنها لم تجد أحداً. وأردفت: «إلى أين ذهب؟». نظرت نوزومي من حولها: «كان ذلك العجوز الظريف هنا... قال إنه ملاك».

قالت والدة نوزومي ببعض من الحدة: «قلت لك ألا تكلمني الغرباء». ذلك العجوز كان غريباً إذًا؟ اضطرب قلب نوزومي مختلطاً بنوع من الفرح. ما هذا الذي أشعر به الآن؟

«على أي حال»، قالت والدتها، «فلنكمل التسوق. هلاً انطلقنا؟».

آه نعم، الشوكولاتة. قالت نوزومي: «أمي، هلاً اشتريت لي بعض الشوكولاتة من فضلك؟ واحدة لي وأخرى لأخي، لا يهم النوع».

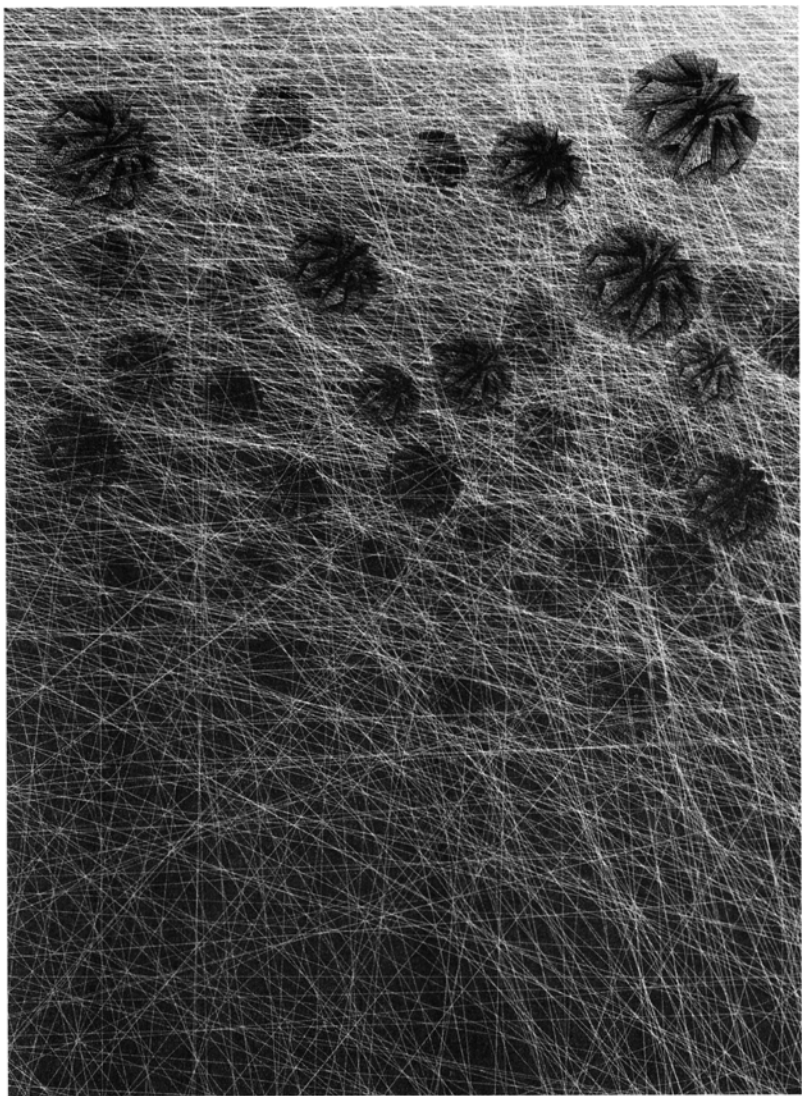
«حسنًا، حسنًا. لكنني أراهن أنك ستلتهمين الاثنتين».

«ذلك لأنه يقول إن بإمكانني الحصول على حصته».

«من حسن حظك أن لديك مثل هذا الأخ اللطيف».

في طريق عودتهما من المتجر الكبير، أخذت والدة نوزومي تفكر في شان. يومًا ما، في المستقبل، سأرى شان من جديد. وسأتدبر أمري حتى ذلك اليوم. سأتدبر أمري جيدًا.

شرعت نوزومي في الركض من جديد: «أمي! فلنذهب ونشاهد أشجار الكرز التي كان أخي يحبها». الأمور التي كان أخي يحبها هي الأمور نفسها التي أحبها. وتساءلت نوزومي، وهي تحدق بأزهار الكرز، أي نوع من الأشخاص كان شان.



مكتبة

t.me/soramnqraa

خاتمة

ماذا سأصبح، إذا كان توحدني لا يُشفى أبداً؟ شكّل هذا السؤال، وأنا صغير، مبعثاً للكثير من القلق. كنت أخشى ألا أتمكن أبداً من العيش بحق كإنسان طالما أنا متوحد. فهناك أمور كثيرة عجزتُ عن فعلها مثل بقية الناس، كما أن اضطراري إلى الاعتذار يوماً بعد يوم قد استنزف كلياً أي أمل لديّ.

أمل في أنكم، بقراءتكم شروحاتي عن التوحد وألغازه، ستتوصلون إلى الإدراك بأن كل العوائق التي تنشأ لا تنطلق من الأنانية أو من حبّ الذات. ولو أمكن لكم جميعاً فهم حقيقتنا، فسيمدنا ذلك بشعاع من الأمل. فمهما كانت حياة المتوحد صعبة، ومهما كانت حزينه، سيظلّ بإمكاننا التمسك بها طالما أن هناك أمل.

وعندما يشعّ نور الأمل على هذا العالم كلّه، عندها سيرتبط مستقبلنا بمستقبلكم. وهذا ما أريده أكثر من أي شيء.

هذا الكتاب عبورٌ إلى عالم التوحد الغامض،
تفكيكٌ لألغازه، جولةٌ في ممراته، سبرٌ
لدواخله التي يكشفها لنا هيغاشيدا، فضيئاً
بصدقٍ وشفافية وبصيرة على أكثر
التساؤلات المطروحة حول المتوحدين.



ناووكي هيغاشيدا

وُلد ناووكي هيغاشيدا في كيميتسو
باليابان عام ١٩٩٢. شُخصت إصابته بالتوحد
الشديد عندما كان في الخامسة من
عمره. تعلّم بعد ذلك التواصل باستخدام
شبكة أبجدية مصنوعة يدويًا وبدأ في
الكتابة. في سن الثالثة عشرة كتب
«لهذا السبب أقفز»، الذي نُشر في اليابان
عام ٢٠٠٧، وترجم إلى أكثر من ثلاثين
لغة حول العالم. حوّل الكتاب إلى
وثائقي صدر في العام ٢٠٢٠ وحاز ٧ جوائز
ورسّم لـ ١٣ جائزة أخرى.



مكتبة

t.me/soramnqraa

ISBN 978-6144-58-541-2



9 786144 585412

ng@all-prints.com
ks@all-prints.com
ll-prints.com

الجناح، شارع زاهية سلمان.
مبنى مجموعة حسين الخياط
ص.ب.: ٨٣٧٥ - بيروت - لبنان
تلفون: ٩٦١١ ٨٣٠٦٠٨، فاكس: ٩٦١١ ٨٣٠٦٠٩

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

